رِسالَة رُومية مُفَسَّرَةً عدداً بعدَ الآخر

(الجزءُ الثالث)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Study Booklet Thirty-One

The Book of Romans
Verse By Verse
(Part 3)

Romans 9 - 11

بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة"

كُتَيِّب رَقَم ٣١

رِسالَة رُومية مُفَسَّرَةً عدداً بعدَ الآخر
(الجزءُ الثَّالِث)
رُومية ٩ - ١١

بِقَلم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُورد
تَرجمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

هذا هُوَ الكُتَيِّبُ الثَّالِثُ من سِلسِلَةٍ تتألَّفُ من أَربَعَةِ كُتَيِّباتٍ تُوَفِّرُ مُلاحَظاتٍ لأُولئكَ الذين سَمِعُوا برامِجَنا الإذاعِيَّة، التي تُعَلِّمُ رِسالَةَ بُولُس إلى أهلِ رُومية عدداً بعدَ الآخر. فإذا رَغِبتَ بدَرسِ هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة من بينِ رسائِلِ بُولُس المُوحَى بها، أو أن تُعَلِّمَ هذه الدِّراسَة المُمَيَّزَة عن رُومية للآخرين، فبِهَدَفِ الإستِمرارِيَّة عليكَ أوَّلاً أن تحصَلَ على أوَّلِ كُتَيِّبَينِ في هذه السِّلسِلَة، قبلَ أن تقرَأَ وتدرُسَ أو تُعلِّمَ من هذا الكُتَيِّب. إذا إتَّصَلتَ بنا، سوفَ نُرسِلُ لكَ الكَتَيِّبات التي لم تحصَلْ عليها بعد.

الفَصلُ الأوَّل
"الإختِيارُ والنِّعمَة"
(رُومية ٩: ١- ٣٣)

في الإصحاحاتِ الأربَعَة الأُولى من هذه الرِّسالَة المُوحاة، يربِطُ بُولُس بينَ رِسالَتِهِ عنِ التَّبريرِ بالإيمان وبينَ الخاطِئ. وفي الإصحاحاتِ الأربَعة التي تَليها، يَربِطُ بينَ التَّبرير، وبينَ الخُطاة الذين تبرَّرُوا بالإيمان، مُظهِراً لهُم كيفَ يعيشُونَ بإستِقامَةٍ ليُمَجِّدُوا اللهَ الذي أَعلَنَهُم أبراراً، لأنَّهُم آمنُوا بما عَمِلَهُ يسُوعُ من أجلِهِم.

لقدِ ختَمَ بُولُس هذه المَجمُوعة الثَّانِيَة المُؤَلَّفَة من أربَعَةِ إصحاحاتٍ (٥- ٨) بأسمَى وأروَعِ مقطَعٍ في العهدِ الجديد. فبُولُس مُقتَنِعٌ تماماً أنَّهُ بإمكانِنا أن نَكُونَ أعظَمَ من مُنتَصِرين، لأنَّ اللهَ يُبادِرُ ويُشدِّدُ العمليَّةَ بأسرِها، التي من خلالِها نُعطَى بالإيمان الإستِحقاقَ المُعلَن، ومن خلالِها نتقوَّى بالإيمانِ والنِّعمَةِ لنَحيا ذلكَ الواقِعِ المَجيد في حياتِنا.

بِحَسَبِ بُولُس، سبقَ فعرَفَ ودعا وبرَّرَ ومجَّدَ أُولئكَ الذين إختَارَهُم للخَلاص. فمفتاحُ إنتِصارِنا لا يكمُنُ فينا، بل في أبينا السَّماوِي الذي يُبَرِّرُنا (رُومية ٨: ٣٣)، وفي إبنِهِ، المسيحُ القائِمُ منَ المَوت الذي يحيا فينا، وفي الرُّوحِ القُدُس الذي يُقَوِّينا. إنَّ قاعِدَة اليقين الرَّاسِخ عندَ هذا الرَّسُول بأنَّنا سنَكُونُ أعظَمَ من مُنتَصِرين، هي أن لا شَيءَ يقدِر أن يفصِلَنا عن محبَّةِ اللهِ في المسيحِ يسُوع رَبِّنا. فالإنتِصارُ لا يعتَمِدُ علينا، ولكنَّهُ يتحقَّقُ فينا، معنا، ومن أجلِنا باللهِ، من خلالِ المسيحِ والرُّوحِ القُدُس. (رُومية ٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

"يا لِلغَرابَةِ أن يختارَ اللهُ اليَهُود."

الإصحاحُ التَّاسِع من رِسالَةِ رُومية هُوَ واحِدٌ من أصعَبِ إصحاحاتِ الكتابِ المُقدَّس على الفهمِ والتَّطبيق. يبدَأُ بُولُس هذا الإصحاح بالتَّعبيرِ عن محبَّتِهِ الصَّادِقَة والحَقيقيَّة لِشَعبِهِ إسرائيل وعن كَونِهِ مُثَقَّلاً تجاهَهُم. في كتاباتِهِ، كثيراً ما يُعَبِّرُ عن عن هدَفِ مُهِمَّتِهِ: "لليَهُودِيِّ أوَّلاً، ثُمَّ لِلِيُونانِيّ." (رُومية ١: ١٦؛ أعمال ٢٠: ٢١) في رحلاتِهِ الإرسالِيَّة، بينما كانَ يدخُلُ مدينَةً بعدَ الأُخرى، كانَ نَمُوذَجُ خدمَتِهِ بأن يذهَبَ إلى المجمَعِ اليَهُودِيِّ أوَّلاً، ويُحاجِجَ معَ مُعَلِّمي النَّامُوس أو الرَّابِّيِّين مُقنِعاً إيَّاهُم بأنَّ "يسَوعَ هُوَ المسيح." (أعمال ١٣: ١٣؛ ١٨: ٤، ٥) في واحِدَةٍ من أعمَقِ تصريحاتِهِ عن ستراتيجيَّة خدمَتِهِ الإرسالِيَّة، كتبَ يَقُولُ أنَّ أهمَّ أولويَّاتِهِ هي أن يَكُونَ لِلِيَهُودِ يَهُودِيَّاً، لِيتمكَّنَ بطريقَةٍ أو بأُخرى، من رؤيَةِ يَهُودٍ يُقبِلُونَ إلى الإيمان ويختَبِرُونَ الخلاص(١كُورنثُوس ٩: ١٩- ٢٢).

كتبَ بُولُس يقُولُ أنَّهُ تقريباً كانَ يَوَدُّ لو بإمكانِهِ التَّضحِيَة بخلاصِهِ الأبديّ لأجلِ خلاصِ شعبِهِ المَحبُوب. الكثيرُ منَّا كمُؤمنين، خاصَّة الذين لديهم أولاد، قد إختَبَرُوا وجعَ القَلبِ الرَّهيب الذي ينتُجُ عن معرِفَةِ أنَّ واحِداً من أولادِنا يبتَعِدُ عنِ الإيمان ويقتَرِبُ من نوعِ حياةٍ سيُؤدِّي بهِ حتماً إلى الكارِثة. قد نَصِلُ إلى مرحَلَةٍ منَ محبَّةِ الضَّالِّينَ من أحبِّائِنا، قد نَكُونُ مُستَعِدِّينَ معها أن نُضَحِّيَ بِخلاصِنا الأبديّ من أجلِ خلاصِهم. ولكن هل يُوجَدُ بينَنا من هُوَ مُستَعِدٌّ لِيُضَحِّيَ بخلاصِهِ الأبديّ من أجلِ خلاصِ النَّاسِ الضَّالِّين، حتَّى ولو لم يَكُونُوا من أحِبَّائِنا؟

بالحقيقة بُولُس لا يَقُولُ أنَّهُ كانَ سيفعَلُ هذا بالتأكِّيد، ولكنَّهُ يقُولُ أنَّهُ بالكاد سيفعَلُهُ: "أقُولُ الصِّدقَ في المسيح. لا أكذِبُ وضَمِيرِي شاهِدٌ لي بالرُّوحِ القدُس. إنَّ لي حُزناً عَظيماً ووَجَعاً في قَلبِي لا ينقَطِعُ. فإنِّي كُنتُ أوَدُّ لَو أكُونُ أنا نَفسي مَحرُوماً من المَسيح لأجلِ إخوَتي أنسِبائِي حسبَ الجَسَد. الذين هُم إسرائيليُّونَ ولَهُمُ التَّبَنِّي والمَجدُ والعُهُودُ والإشتِراعُ والعِبادَةُ والمَواعِيدُ. ولَهُمُ الآباءُ ومنهُمُ المسيحُ حسبَ الجَسد الكائِنُ على الكُلِّ إلهاً مُبارَكاً إلى الأبَدِ آمين." (رُومية ٩: ١- ٥)

منَ المُمكِن أن نَقُولَ لشَخصٍ واحِد، ومنَ المُمكِن أن نَقُولَ لمِئاتٍ أو لآلافٍ من على المِنبَر، وحتَّى للملايين منَ الرَّاديو أنَّهُم ذاهِبُونَ إلى جَهَنَّم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

إذا لم يُؤمِنُوا بيسُوع المسيح مُخَلِّصاً لهُم. يُمكِنُ أن يتِمَّ هذا بطريقَةٍ تُعطِي إنطباعاً أنَّنا مَسرُورُونَ بهذا الإحتِمال الرَّهيب. أو بإمكانِنا أن نَنقُلَ هذه الحقيقَة الرَّهيبَة المُريعة بدُمُوعٍ وبَقلبٍ مُنكَسِر. منَ الواضِح أنَّ الخيارَ الثَّانِي هُوَ الذي سيربَحُ المزيدَ منَ النَّاسِ للمسيح.

عندما كتبَ بُولُس هذه الكلمات التي تُعَبِّرُ عن ثِقلِهِ للشَّعبِ اليَهُودِيّ، خاصَّةً لأُولئكَ الذين هُم أمثال شاوُل الطَّرسُوسِيّ قبلَ أن يلتَقِيَ بالمسيح الحَيِّ المُقام على طريقِ دِمشق، كتبَ بِدُمُوعِهِ وبِقَلبٍ مُنكَسِر.

لقد أبرَزَ ثمانِيَةَ طُرُقٍ كانَ اليَهُودُ مُمَيَّزِينَ فيها رُوحيَّاً. أوَّلُ هذه الإمتِيازات الرُّوحِيَّة كانَ ما يُمكِنُ تسمِيَتُهُ "التَّبَنِّي." تَذَكَّرُوا أنَّهُ في تلكَ الحضارَة الرُّومانِيَّة، كانَ الوالِدُ يعتَبِرُ أبناءَهُ الصُّبيان أطفالاً إلى أن يبلُغُوا سنَّ الرَّابِعَة عشر. وعندما يبلُغُونَ هذا السِّنّ القانُونِي، كانَ يُنَظِّمُ جلسَةَ محكَمَةٍ رسمِيَّة، يُعلِنُ فيها شَرعِيَّاً تبنِّيهِم أبناءً لهُ وورثَةً شَرعِيِّين لمُمتَلكاتِهِ. بهذا الإطار الحضارِيّ إستَخدَمَ بُولُس كلمة "تبنِّي."

تُوجَدُ أربَعَةُ أسبابٍ اللهُ وحدَهُ يعرِفُها، أنَّهُ من بَينِ كُلِّ الشُّعُوب المذكُورَة في التَّاريخِ القديم، لماذا إختارَ اللهُ وتبنَّى ذُرِّيَّةَ إبراهيم ليَكُونُوا شعبَهُ المُختار المُمَيَّز. نَجِدُ أنَّهُ منَ الغرابَةِ أن يختارَ اللهُ اليَهُود، ولا يسَعُنا إلى أن نتساءَلَ مُتَعجِّبِينَ، "لِماذا؟"

في كُلِّ مَرَّةٍ نسأَلُ فيها، "لماذا فعلَ اللهُ كذا؟" بالتَّحليلِ النِّهائِي، يَكُونُ الجوابُ، "اللهُ وحدَهُ يعلَمُ!" بإمكانِنا القَول أنَّهُ إن كانَ اللهُ قدِ إختارَ عِرقاً مُعَيَّناً، أو لَوناً أو أصلاً وطنِيَّاً، عندها هذا العِرقُ أو اللَّونُ أو الأُمَّةُ سيُؤمِنُ بِوُضُوحٍ بِتَفَوُّقِهِ الوطنِيِّ والعِرقِيّ. فلِكَي يأتي إلى هذا العالم كإلهٍ إنسان، خلقَ اللهُ شَعباً خاصَّاً لهذا الهدَف. العهدُ القَديمُ بأكمَلِهِ يَقُولُ أنَّ اللهَ يختارُ أُولئكَ الذين يستَخدِمُهُم. ولكنَّ العهدَين القَديم والجَديد، بالإضافَةِ إلى التَّاريخِ العِبريّ القَديم والمُعاصِر، جميعُها تُصَرِّحُ بأنَّ أُولئكَ الذين إختارَهُم الله، يَظَلُّ بإمكانِهِم أن يختارُوا أن لا يَكُونُوا مُختارِين.

الإمتِيازُ الرُّوحِيُّ الثَّانِي لليهُود كانَ أنَّهُم أُعطُوا المَجد. هذه إشارَةٌ إلى الشَّكينَة، أو حُضُور الله الحقيقيّ، الذي كانَ يملأُ خيمَةَ العِبادَة وهيكَلَ سُليمان، عندما تمَّ بناءُ وتدشينُ هذينِ الصَّرحَين تِباعاً. فلقد شَكَّلَت السحابَةُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

نهاراً وعمودُ النَّارِ لَيلاً، شكَّلَت ظواهِرَ لهذا المجد، وقادَتِ الشَّعبَ في مَسيرِهم في البَرِّيَّة، كما هُوَ مَوصُوفٌ في سِفرَي الخُروج والعدد.

ثُمَّ يَذكُرُ بُولُس العُهُودَ التي قَطَعَها معَ شَعبِهِ المُختار. علينا أن نتذكَّرَ أنَّ كلمة "عهد" كما إستُخدِمَت للإشارَةِ إلى العهدَين القَديم والجديد، تعني بالحقيقَةِ ليسَ الكِتابَين القديم والجديد، بل العهدَين المَقطُوعَين من اللهِ معَ شَعبِهِ في القَديم والجديد. بالإضافَةِ إلى هذينِ العهدَين الشامِلَين والعامَّين، قطعَ اللهُ عُهُوداً مع أشخاصٍ مثل نُوح، إبراهيم، وداوُد.

إنَّ مُعجِزَةَ نامُوسِ اللهِ الذي أُعطِيَ لإسرائيل من خلالِ مُوسى على جَبَلِ سيناء، هي الإمتِيازُ الرُّوحِيُّ التَّالِي الذي ذكرَهُ بُولُس. إنَّ محبَّةَ اليَهُودِ الأتقِياء للنَّامُوس، تمَّتِ الإشارَةُ إليها سابِقاً في تفسيرِنا للطَّريقَةِ التي يبدَأُ بها الإصحاحُ السَّابِع. فلقد رأينا أنَّ مُعظَمَ العَرضِ المُنَظَّم الذي تُقَدِّمُهُ هذه الرِّسالَة، يرتَبِطُ بِفهمٍ صحيحٍ لمقاصِدِ نامُوسِ اللهِ الذي أُعطِيَ لإسرائيل. لقد تألَّمَ بُولُس بِشِدَّة لكَونِ المقاصِد التي من أجلِها أُعطِيَ النَّامُوس لم تتحقَّقْ بتاتاً في حياةِ اليَهُود، الذين لأجلِهم كانَ بُولُس مُثَقَّلاً، فكتبَ لهُم هذه الرِّسالَة.

هُناكَ بُعدٌ هامٌّ جدَّاً مُتَعلِّقٌ بهذا النَّامُوس وبِخِدمَةِ مُوسى، كانَ يُشيرُ بُولُس إليهِ بأنَّهُ "خدمة الله." هذه إشارَةٌ إلى الخصائِص التَّفصيليَّة التي أعطاها اللهُ في سفرِ الخُرُوج، بِخُصُوص "خيمَةِ العِبادَة،" أو "خيمة الإجتِماع في البَرِّيَّة." الحقيقَةُ الهامَّةُ في كُلِّ هذه الخصائِص التَّفصيليَّة، وتعليمات سفر اللاوِيِّين التي تُظهِرُ كيفَ ينبَغي إستخدام خيمَة العِبادَة هذه، هي أنَّ اللهَ كانَ يُظهِرُ لهذا الشَّعبِ المُختار المميَّز كيفَ يعبُدُ اللهَ القُدُّوس.

ثُمَّ يُشيرُ بُولُس إلى المَواعِيد. ويُعتَبَرُ هذا مفهُوماً بالِغَ الأهَمِّيَّة في العلاقَةِ بينَ اللهِ وإسرائيل. فكُلُّ ما يعمَلُهُ اللهُ مُتَنَبَّأٌ عنهُ ومَسبُوقٌ بِوَعد. فهُناكَ أرضُ المَوعِد والوُعُودُ التي قطَعَها اللهُ لإبراهِيمَ بِخُصُوصِ ذُرِّيَّتِهِ. يُوصَفُ إسحَقُ بأنَّهُ إبنُ المَوعِد. والتَّحدِّي هُو أن نُؤمِنَ بمواعيدِ الله. لهذا يُعتَبَرُ أبُو هذا الشَّعب تعريفاً حَيَّاً للإيمان، لأنَّهُ آمنَ بمواعِيدِ الله.

ومنَ المُلائِمِ جدَّاً أنَّ الإمتِيازَ الرُّوحِيَّ التَّالِي هُوَ الآباء. إبراهيم، إسحَق، يعقُوب، مُوسَى، داوُد، وآخَرُونَ غَيرُهُم دَعاهُمُ اللهُ وقوَّاهُم وأهَّلَهُم ليكُونوا آباءَ، وليُسَمُّوا ويُحَوِّلُوا جمهُوراً كبيراً منَ النَّاسِ إلى أُمَّة، ثُمَّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

لِيَقُودُوا تلكَ الأُمَّة. يعتَبِرُ بُولُس هؤُلاء الآباء بأَنَّهُم يُشَكِّلونَ إمتِيازاً رُوحيَّاً آخر من الإمتِيازات التي أعطاها اللهُ لشَعبِ إسرائيل.

الإمتِيازُ الرُّوحِيُّ الثَّامِن والأعظَم، الذي أعطاهُ اللهُ لإسرائيل كانَ أَنَّهُ من خلالِهم سيأتي المُخَلِّص، الذي بهِ ستُعلَنُ محبَّةُ اللهِ وسيُعَبَّرُ عنها لهذا العالم. لقد أصبَحَ الخلاصُ مُمكِناً لليَهُودِ وللأُمَم من خلالِ هذا الشَّعبِ المُختار. فمن خلالِ إسرائيل، أصبحَ اللهُ جسداً، وعاشَ في هذا العالم لمُدَّةِ ثلاثٍ وثلاثِينَ سنَةً. وإذ يختُمُ لائِحَةَ هذه الإمتِيازاتِ الرُّوحيَّة المُعطاة لإسرائيل، بذكرِ حقيقَةِ كونِ المَسِيَّا قد جاءَ لهُم ومنهم، أعطانا بُولُس أيضاً أحدَ أوضَحِ أعدادِ الكتابِ المُقدَّس الذي يُعلِنُ شَيئاً لطالَما نادَى بهِ يسُوعُ في إنجيلِ يُوحَنَّا: أَنَّهُ كانَ اللهَ: "المسيحُ جاءَ، وهُوَ فوقَ الكُلّ، إلهاً مُبارَكاً." (٩: ٥)

هَل فَشِلَ اللهُ؟

"ولكن ليسَ هكذا حتَّى إنَّ كَلِمَةَ اللهِ قد سَقَطَت. لأنْ لَيسَ جَميعُ الذين من إسرائيل هُم إسرائيليُّون. ولا لأَنَّهُم من نَسلِ إبراهيم هُم جَميعاً أولادٌ. بل بإسحَق يُدعَى لكَ نَسلٌ. أي لَيسَ أولادُ الجَسَد هُمْ أولاد الله بل أولاد المَوعِد يُحسَبُونَ نَسلاً. لأنَّ كَلِمَةَ المَوعِد هي هذه. أنا آتي نحوَ هذا الوقت ويَكُونُ لِسارَة إبنٌ." (رُومية ٩: ٦- ٩).

بِالنِّسبَةِ لبُولُس، كَون الإنسان يَهُودِيَّاً هُوَ أكثَرُ من مُجَرَّدِ وراثَةِ هذه الهويَّة بالولادة. فليسَ جميعُ المَولُودينَ من أبٍ وأُمٍّ يَهُودِيَّين هم إسرائيل الحقيقيّ. فكَونُ الإنسان يَهُودَيَّاً هُوَ أكثَرُ من مُجَرَّدِ إنتِماءٍ قوميّ. فكَونُ الإنسانِ من ذُرِّيَّةِ إبراهيم هُوَ دَعوة. وكما أشَرتُ غالِباً، كَلِمَةُ "جَسَد"، كما إستُخدِمَت مِراراً في الكتابِ المُقدَّس، تعني "الطَّبيعة البَشَرِيَّة بِدُونِ مُساعَدَةِ اللهِ." يَقُولُ بُولُس هُنا أنَّ أُولئكَ المَولُودِينَ بِطَريقَةٍ لا تتطلَّبُ عملَ اللهِ الخارِق للطَّبيعة، هُم ليسُوا إسرائيل الحقيقيّ. ولكن جميع الذين تبرَّرُوا بالإيمان وقَبِلُوا هذا البِرّ الذي لا يُكتَسَبُ بالأعمالِ الصَّالِحَة، بَل يُعطَى لأُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ بعملِ يسُوع المسيح على الصَّليب، أُولئكَ هُم ذُرِّيَّةُ إبراهيم الحقيقيَّة. كتبَ بُولُس هذه الحقيقَة نفسَها للغَلاطِيِّين (غلاطية ٣: ٢٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

إنَّ قَلبَ هذا الرَّسُول مكسُورٌ لأنَّهُ كُلَّما إزدادَت الإمتِيازاتُ الرُّوحيَّة، كُلَّما عَظُمَت المَسؤوليَّة الرُوحيَّة. فعلى الرُّغمِ من كُلِّ إمتيازاتِهِ الرُّوحيَّة، إختارَ شَعبُ إسرائيل أن لا يَكُونُوا مُختارِينَ منَ الله، فرَفَضُوا المسيَّا والمُخَلِّص يسُوع. وإذ يبدَأُ بُولُس هذه الإصحاحاتِ المُمَيَّزة الثَّلاثَة، والتي يُعَلِّمُ فيها عنِ الإختِيار - أو عن كونِ اللهِ قدِ إختارَ اليَهُود – يُعَلِّمُ بِوُضُوحٍ أنَّ كَونَهُم مُختارِينَ منَ الله لم يُبطِل ولم يُزِلْ قدُرَتَهُم ومسؤوليَّتَهُم على إختيارِ اللهِ وإختيار تدبيرِهِ لخلاصِهِم.

في هذه الإصحاحاتِ العميقة الثَّلاثَة (٩- ١١)، يستخدمُ بُولُس إسرائيل كأوضَحِ مَثَلٍ في الكتابِ المُقدَّس عن كونِ اللهِ يختارُ أُولَئكَ الذين سبقَ فعيَّنَهُم ودعاهُم وبَرَّرَهُم ومجَّدَهُم من خلالِ الخلاص. في إحدَى أعظَم مُتناقِضاتِهِ في كلمةِ الله، سوفَ يستَخدِمُ أيضاً إسرائيل كأعظَمِ مثَلٍ في الكتابِ المُقدَّس عمَّا نُشيرُ إليهِ بإرادَةِ الإنسان الحُرَّة،" أو الحقيقَة التي لا تُنكَرُ أنَّنا مخلُوقات ذاتَ خَيارٍ حُرّ.

التَّناقَضُ هُوَ حقيقتانِ تبدُوانِ مُتناقِضَتَين، ولكنَّهُما لن تَكُونا كذلكَ عندما تنسَجِمُ أفكارُنا وطُرُقُنا معَ أفكارِ وطُرُقِ الله. كَونُ شعب إسرائيل هُوَ المثالُ الكتابِيُّ عن كُلٍّ منَ الإرادَةِ الحُرَّةِ والإختِيار، هُوَ أعظَمُ تناقُضٍ في الكتابِ المُقدَّس. هذا التَّناقُضُ نفسُهُ مَوجُودٌ في الأناجيل، حَيثُ نقرأُ أنَّ الرُّسُلَ يتَّخِذُونَ خَياراتٍ واضِحَة بالإيمانِ بيسُوع وبإتِّباعِهِ. ولكن، بعدَ ثلاثِ سنواتٍ من إتِّباعِهِ، وفي خُلوَتِهِ الأخيرة معَهُم في العُلِّيَّة، أعلنَ لهُم قائِلاً: "ليسَ أنتُم إختَرتُمُونِي، بل أنا إختَرتُكُم..." (يُوحَنَّا ١٥: ١٦)

عندما نُدرِكُ أنَّهُ بحَسَبِ الكتابِ المُقدَّس، يختارُنا اللهُ للخَلاص، ورُغمَ ذلكَ نختارُ نحنُ بأنفُسِنا أن نخلُصَ، معَ مَنطِقِنا المُتصَدِّع وعقلِنا المَحدُود، ظانِّينَ أنَّهُ ينبَغي أن يَكُونَ الخَيارُ إمَّا لنا أو لله. أي إمَّا أنَّنا نحنُ نختارُ اللهَ والخلاص، أو أنَّ اللهَ هُوَ الذي يختارُنا. يُعَلِّمُ الكتابُ المُقدَّس أنَّ القَضِيَّة هي الإثنان معاً. رُغمَ أنَّهُ ليسَ بإمكانِنا أن نفهَمَ هذا الأمر، ولكنَّ اللهَ يختارُنا، ورُغمَ ذلكَ فنحنُ نُمارِسُ حُرِّيَّةَ الإختِيار ونختارُ اللهَ والخلاص. علينا أن نقبَلَ الحقيقَةَ التي لا تُدحَضُ بأنَّ هاتين الفَرَضِيَّتَين، اللتينِ تبدُوانِ مُتناقِضَتين، هُما حقيقَيَّتانِ لأنَّ الكتابَ المُقدَّس يُعَلِّمُ بأنَّ كِلاهُما حقيقَة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

مـعَ هذه الخَلفيَّـة، أصـبَحنا مُستَعِدِّينَ الآن لنتأمَّـلَ بهذا المقطـع البـالِغ الصُّعُوبَة من كلمـةِ الله: "ولـيسَ ذلـكَ فقط بـل رِفقَـة أيضـاً وهِـيَ حُبلَـى من واحِدٍ وهُوَ إسحَقُ أبُونا. لأنَّهُما وهُما لم يُولَدا بعدُ ولا فعلا خَيراً أو شَرَّاً، لِكَي يثبُتَ قصدُ اللهِ حسبَ الإختِيار، ليسَ منَ الأعمال بل منَ الذي يَدعُو. قِيلَ لها إنَّ الكَبيرَ يُستَعبَدُ لِلصَّغير. كما هُوَ مكتوبٌ أحبَبتُ يعقُوب وأَبغَضتُ عِيسُو." (رُومية ٩: ١٠- ١٣)

بناءً على ما كتَبَهُ بُولُس في هذا الإصحاح، اللهُ لا يتصرَّفُ كما نظُنُّ أنَّهُ ينبَغي أن يتصرَّف. بل يُخرِجُنا من صنادِيقِنا، أو من طُرُقِنا المُعتادَة على فهمِنا لهُ. فنحنُ نُحِبُّ أن نُفَكِّرَ باللهِ وكأنَّهُ إنسانٌ، وأنَّهُ سيتصرَّفُ كما كُنَّا نحنُ سنتَصَرَّفُ لَو كُنَّا مكانَهُ. ولكن من خلالِ النَّبِيِّ إشعياء، حَذَّرَنا إشعياءُ أنَّ الفَرقَ بينَ الطريقة التي يُفَكِّرُ ويعمَلُ ويكُونُ بها اللهُ، وبينَ الطريقة التي نُفَكِّرُ بها نحنُ ونعمَلُ ونَكُونُ إذ نحيا حياتَنا، هُوَ مثلُ إرتِفاعِ السَّماواتِ عنِ الأرض (إشعياء ٥٥: ٨).

مَرَّ وقتٌ إتَّفَقَ فيهِ الجميعُ على أنَّ الأرضَ مُسَطَّحَة. ولكنَّ المُؤمنينَ إكتَشَفُوا نُصُوصاً كِتابِيَّةً تُؤَكِّدُ ما نَظُنُّهُ اليومَ صحيحاً. ثُمَّ بدأَ أُولئكَ الذين يدرُسُونَ هذه الأُمُور بمُشارَكَةِ الإقتِناعِ بأنَّ الأرضَ مُستَديرَة، وبأنَّها تَدُورُ حولَ مِحوَرِها، وهكذا تسبَحُ في الفَضاءِ الشَّاسِع كجُزءٍ منَ المجمُوعَةِ الشَّمسِيَّة، التي هي بِدَورِها جزءٌ من كَونٍ لا حُدُودَ لهُ، يحتوي على مجمُوعاتٍ شمسيَّة لا تُعَدُّ ولا تُحصَى. هذا جعلَ بعضَ المُؤمنينَ يشعُرُونَ بعدَمِ الإرتِياحِ في تلكَ الأيَّام، لأنَّهُم كانُوا مُقتَنِعِينَ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ تُعَلِّمُ عكسَ ذلكَ.

فنحنُ نُحِبُّ أن تَكُونَ لنا نظرَتُنا الخاصَّة إلى هذا العالَم الذي فيهِ نعيش، وفلسَفَتُنا الخاصَّة بالحياة ومفهُومُنا الخاصّ عنِ اللهِ، ونُريدُ أن تتواجَدَ هذه الأُمُور في عُقُولِنا إلى جانِبِ بعضِها البَعض، كُلٌّ في منطَقَتِهِ الخاصَّة في صنادِيقَ خياليَّة مُخَصَّصَة له. ولكنَّ اللهَ الذي نلتَقيهِ في الكتابِ المقدَّس، والكلمةُ الحَيَّة الذي دَوَّنَ الكتابَ المُقدَّس، لا يَكُونُ دائماً على قَدرِ حجمِ صنادِيقِنا وعُلَبنا الصَّغيرة التي نُريدُ وَضعَهُ فيها. ويبدُو أنَّهُ يُسَرُّ بتكسيرِ جوانِبِ هذه الصَّناديق، لأنَّهُ إلهٌ أكبَر بِكَثير من أن يُوضَعَ في عُلبَة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

بينما نُفَكِّرُ باللهِ ونتعرَّفُ عليهِ، يُرغِمُنا اللهُ على الخُرُوجِ من تفكيرِنا المحدُود، بكَونِهِ يتصرَّفُ بطريقَةٍ غيرِ مُتوقَّعَة بتاتاً، وبطريقَةٍ يجعَلُنا فيها مُتَحَيِّرينَ ومُرتَبِكين. ولكن كما حَذَّرَنا إشعياء، اللهُ ليسَ إنساناً (إشعياء ٥٥: ٨). فهُوَ لا يُفَكِّرُ ولا يعمَلُ مثلنا نحنُ. قبلَ أن ندخُلَ في هذا الإصحاح، علينا أن نتذكَّرَ بِبَساطَةٍ وُجهَةَ النَّظَرِ هذه التي نحصَلُ عليها من إشعياء، وأن لا نتوقَّعَ أن نفهَمَ الله، ولماذا يفعَلُ ما يفعَلُهُ، أو الطَّريقَة التي يعمَلُ بها ما قرَّرَ فعلَهُ.

نحتاجُ أن نتذَكَّرَ وُجهَةَ النَّظَرِ هذهِ التي أخبَرنا بها اللهُ عن نفسِهِ من خلالِ إشعياء، خلالَ قِراءَتِنا ودراسَتنا للإصحاحِ التَّاسِع، العاشِر والحادِي عَشَر من هذه التُّحفَة اللاهُوتِيَّة لبُولُس الرَّسُول. في هذه الإصحاحاتِ الثلاثَة، سوفَ يربِطُ بُولُس التَّبريرَ بالإيمان بِشَعبِ إسرائيل. وسوفَ يستَخدِمُ بُولُس إسرائيل كإيضاحٍ عن إختِيارِ اللهِ للإنسان، وعن حُرِّيَّةِ إرادَةِ الإنسان في إختِيارِ الله.

ثلاثَة مبادِئ في الإختِيارِ والنِّعمة

يَضَعُ بُولُس ثلاثَة مبادِئ للنِّعمة علينا أن نستَوعِبَها خلالَ إقتِرابِنا من هذا الإصحاحِ التَّاسِع. المَبدَأُ الأوَّل هُوَ أنَّ الخلاصَ غيرُ مَورُوث. تصَوَّرُوا أنَّنا وُلِدنا لأهلٍ مُؤمِنينَ أتقياء. ولقد علَّمَنا أهلُنا كلمَةَ اللهِ، وأخذُونا دائماً للحُضُورِ في كَنيسَةٍ رائِعة، ولَرُبَّما أرسلُونا للتَّعَلُّمِ في مدرَسَةٍ مسيحيَّةٍ مُستَقيمة، من صفِّ الحضانَةِ حتَّى آخِرِ صُفُوفِ الجامِعة. في هذه الحال نكُونُ ذَوي إمتيازاتٍ رُوحيَّة. ونكُونُ مَسؤُولينَ ومُطالَبينَ للإجابَةِ على ما فعلنا بِتُراثِنا الرُّوحي وبإمتِيازاتِنا الرُّوحيَّة التي ورِثناها. ولكنَّ هذا لا يعني أنَّنا مُخَلَّصُون. فاللهُ ليسَ لدَيهِ أحفاد. بل لدَيهِ فقط أولاد. والمَبدأُ الرُّوحِيُّ الأوَّل عندَ بُولُس والمُتَعلِّق بالإختِيارِ والنِّعمة، هُوَ أنَّ الخَلاصَ غيرَ مَورُوث.

مَبدَأٌ ثانٍ يَضَعُهُ بُولُس في هذا الإصحاح، هُوَ أنَّ الخلاصَ غيرَ مَبنِيٍّ على خياراتٍ نَتَّخِذُها بأن نلتَزِمَ بعَيشِ حياتِنا لله، بل خيارات يتَّخِذُها اللهُ عندما يختارُنا لِلخلاص. نحنُ نُقاوِمُ هذا المبدأ الثَّانِي لأنَّنا نُريدُ أن نُؤمِنَ أنَّنا نحنُ من يُديرُ الدُّفَّة، وأنَّ الأمُورَ هي تحتَ سيطَرَتنا. إن كانَ هذا المبدَأُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

صحيحاً، عندها ستَكُونُ السَّيطَرَةُ في يدَي الله، ونحنُ لا نُحِبُّ أن نخسَرَ هكذا نوع منَ السَّيطَرَة.

مبدأٌ رُوحِيٌّ ثالِث يضعُهُ بولُس هُنا، هُوَ أنَّ الخلاصَ غَيرُ مُؤَسَّسٍ على كَونِنا صالِحينَ أم سَيئين، أو على ما إذا عمِلنا أعمالاً صالِحةً أم سَيِّئَة. يستَخدِمُ بُولُس المَجازَ التَّاريخيّ عن عيسُو ويعقُوب. فهذانِ التَّوأَمانِ في رَحِمِ رفقة لم يَكُونا قد فعَلا خيراً ولا شَرّاً. رُغمَ ذلكَ، نسمَعُ تصريحاً كِتابِيّاً يقُولُ أنَّ اللهَ أحَبَّ يعقُوبَ وإختارَهُ، وأنَّهُ أبغَضَ عيسُو، ولذلكَ فإنَّ عيسُو سيخدُمُ يعقُوب.

عندَما نقرأُ أنَّ اللهَ أبغَضَ عِيسُو، علينا أن نُدرِكَ أنَّ هذا القَول هُوَ تعبيرٌ مجازِيّ. وهُوَ يعني بجَوهَرِهِ أنَّهُ بالمُقارَنَةِ معَ المحبَّةِ التي أظهَرَها اللهُ لِيَعقُوب، فإنَّ سَحبَهُ للنِّعمةِ تجاهَ عيسُو بدا وكأنَّهُ بُغضَى. يستخدِمُ يسُوعُ هذه الصُّورَةَ التَّعبيريَّة نفسَها عندما قدَّمَ الدَّعوَةَ بالإلتِزامِ بإتِّباعِهِ قائِلاً أنَّهُ إن أرادَ أحدٌ أن يَصيرَ لهُ تلميذاً، عليهِ أن يُبغِضَ أباهُ وأُمَّهُ وإخوتَهُ وأخواتِهِ وكُلَّ النَّاس الآخرين في حياتِهِ (لُوقا ١٤: ٢٦). رُغمَ ذلكَ، فإنَّ كلمةَ اللهِ تُعَلِّمُ بِوُضُوحٍ أنَّ علينا أن نُحِبَّ والِدَينا (خُرُوج ٢٠: ١٢)، وأنَّهُ علينا أن نُحِبَّ كُلَّ إنسان (١يُوحَنَّا ٤: ٧- ٢١). يُعَلِّمُ يسُوعُ أنَّ محَبَّتَنا لهُ ينبَغي أن تَكُونَ عظيمةً لدرَجَةِ أنَّها عندما نُقارِنُها معَ عواطِفِنا تجاهَ أيِّ شَخصٍ آخر، سوفَ تبدُو عواطِفُنا للآخرين وكأنَّها بُغضَى. كانت هذه صُورَةٌ تعبيريَّةٌ مجازِيَّة في الحضارَةِ الشَّرقِيَّة.

أحدُ مشاهِير مُفَسِّري الكتابِ المُقدَّس الأتقياء، إقتَرَبَت منهُ سَيِّدَةٌ مَرَّةً وقالَت لهُ، "أيُّها الدُّكتُور آيرونسايد، لدَيَّ مُشكِلَة معَ هذا العدد، حَيثُ يقتَبِسُ بُولُس قولَ الله، "أحبَبتُ يعقُوب وأَبغَضتُ عيسُو." فكانَ جوابُ آيرُونسايد، "أنا أيضاً لدَيَّ مُشكِلَة معَ هذا العدد، ولكن مُشكِلَتي هي أن أفهَمَ كيفَ إستطاعَ اللهُ أن يَقُولُ: "أحبَبتُ يعقُوب."

عندَما نقرأُ قِصَّةَ حياة يعقُوب المُحتال والمُخادِع، ونُدرِكُ كيفَ عاشَ على مُستَوى إسمِهِ، الذي هُوَ "مُتَعَقِّب،" بإمكانِنا أن نفهَمَ لماذا أجابَ مُعَلِّمُ الكتابِ المُقدَّس آيرُونسايد بذلكَ الجواب. في الإصحاحِ الخامِس من هذه الرِّسالَة، تعجَّبَ بُولُس من كَونِ محبَّةِ اللهِ قد عُبِّرَ عنها من خلالِ المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

لأجلِ خلاصِنا، عندما كُنَّا بعدُ أَثَمَةً، خُطاة، وأعداء الله. نحنُ جميعاً نتعجَّبُ من كونِ اللهِ أحَبَّ يعقُوب، أو أحَبَّ أيّاً منَّا نحنُ الخطاة، وخَلَّصنا بالمسيح.

مُلاحَظَةٌ أُخرى حولَ هذا المقطع المُفعَم بالمعاني، وهُوَ أنَّنا قد نُسيءُ فهمَ الهدف الأساسيّ منَ التَّعليمِ هُنا، عندما نُرَكِّزُ كُلِّيّاً على المَفهُومِ المُشارِ إليهِ بكلمة "إختِيار." سوفَ أُعالِجُ هذا المَفهوم قَريباً، ولكن قبلَ أن أفعَلَ ذلكَ أُشَجِّعُكُم على أن تستَوعِبُوا الحقيقَةَ الأساسيَّةَ والأوَّليَّة التي يُعَلِّمُها بُولُس في هذا المقطع الصَّعب. وما نُسَمِّيهِ إختِيار يُشَدَّدُ عليهِ في هذا الإصحاح، لأنَّهُ يُوضِحُ الهدَفَ الرَّئيسيّ مِمَّا يُعَلِّمُهُ في هذه التُّحفَة اللاهُوتِيَّة: فهذا الخلاص لا يُكتَسَبُ بالأعمالِ الصَّالِحَة، بل يُغدَقُ كهِبَةٍ بنعمَةِ الله.

فقبلَ أن يعمَلَ هذانِ التَّوأَمانِ خَيراً أو شَرّاً، تَمَّ إختِيارُ يعقُوب للخلاص، لأنَّ الله أحَبَّهُ، وليسَ بِسَبَبِ أيَّة أعمالٍ صالِحَةٍ عَمِلَها. هذا يُثيرُ قَضِيَّةَ إختيار الله عمداً ليَعقُوب. فهل يختارُ اللهُ أشخاصاً أو شَعباً للخلاص؟ بمعنىً ما، يُخبِرُنا العهدُ القَديمُ بأكمَلِهِ بإسهابٍ أنَّ اللهَ بالفِعل يختارُ شَعباً للخلاص، لأنَّهُ إختَارَ اليَهُود.

لَدينا مُشكِلَتانِ في هذا التَّصريح. فنحنُ نُحِبُّ أن نعتَقِدَ أنَّ خَلاصَنا هُوَ تحتَ سيَطَرَتِنا، وأنَّنا لا نَظُنُّ أنَّهُ منَ العَدلِ أن يختارَ اللهُ بعضَ الأشخاص ولا يختارَ آخرين.

جَوهَرُ ما يُعَلِّمُ بهِ بُولُس هُنا هُوَ أنَّهُ علينا أن نَرُدَّ خلاصَنا إلى النِّعمَة، وإلى خياراتِ اللهِ الكُلِّيّ السِّيادَة، وإلى عملِ يسوع المسيح على الصَّليبِ لأجلِ خلاصِنا، بَدَلَ أن نَرُدَّ خلاصَنا إلى خياراتِنا وأعمالِنا. ولكنَّ بُولُس يُقَدِّمُ أيضاً هذا التَّناقُض: حتَّى وإن كُنَّا مُختارين، علينا أن نختارَ بأن نَكُونَ مُختارِينَ، بإيمانِنا بِالمسيح مُخَلِّصاً لنا لنتَبَرَّرَ بالإيمان.

إن كانَ نامُوسُ مُوسى مألُوفاً لَدَيكُم، ستَفهَمُونَ لماذا كانَ منَ الصَّعبِ جدّاً على الفَرِّيسيِّينَ الأتقِياء أن يستَوعِبُوا ويُؤمِنُوا بما يُعَلِّمُهُ بُولُس هُنا. فالفَرِّيسيُّونَ الغَيُورُون، كما كانَ شاوُل الطَّرسُوسِيّ قَبلَ تجديدِهِ، كانُوا يحفَظُونَ الأسفارَ الخمسةَ الأُولى من الكتابِ المُقدَّس عن ظَهرِ قَلب. كَثيرُونَ منَ المُؤمنينَ اليوم لم يقرأُوا حتَّى هذه الأسفار الخمسة الأُولى منَ الكتابِ المُقدَّس ولا مَرَّة، رُغمَ كَونِها تُشَكِّلُ حجَرَ زاوِيَةٍ في كلمَةِ الله. لهذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

كانَ اليَهُودُ الأتقياء مُتآلِفينَ معَ أسفارِ النَّامُوسِ هذه. إثنانِ منهُما إنتَهَيا بحَضٍّ قَوِيٍّ على إختيارِ الفَرقِ بينَ الحياةِ والمَوت، الذي كانَ يعني إختِيارُ طاعَةِ نامُوسِ الله وخدمَتِهِ، أو إختيار التَّمَرُّد والعِصيان على الله: (لاوِيِّين ٢٦، ٢٧؛ تثنيَة ٢٨، ٣٠).

لهذا كانَ منَ الصَّعبِ جدَّاً على اليَهُودِ الأتقِياء أن يستَوعِبُوا الفِكرَةَ أنَّ الحياةَ الرُّوحيَّةَ والمَوت الرُّوحِيّ لم يَكُونا خيارَهما، بل خَيارَ الله. بإمكانِنا أن نرى لماذا كانَ صعباً عليهم أن يُؤمِنُوا أنَّ الخلاصَ والبِرَّ المُعلَن هو دَعوة، وعطيَّة نعمَةِ اللهِ ينبَغي أن تُقبَلَ بالإيمان، ولَيسَ حَقَّاً مَورُوثاً وعاقِبَةً لطاعَةِ نواميسِ الله.

بإمكانِنا أيضاً أن نرى لماذا إحتاجَ بُولُس، وهُوَ فَرِّيسيٌّ منَ الفَرِّيسيِّين، إلى بِضعِ سنواتٍ في صَحراءِ العَرَبِيَّة لِيَتَعَلَّمَ هذه الحقائِق معَ المسيحِ المُقام، كما وصفَ ذلكَ الإختِبار في رسالَتِهِ إلى الغَلاطِيِّين (غلاطية ١- ٢: ١٠). منَ الواضِحِ أنَّهُ إحتاجَ إلى وقتٍ وإلى إعلانٍ خارِقٍ للطَّبيعَة، ليستَوعِبَ هذه الحقيقة بِنَفسِهِ، وليدمُجَ عَطِيَّةَ البِرّ والتَّبرير بالإيمان معَ لاهُوتِهِ، كَونَهُ و احِداً منَ الرَّابِيِّين الفَرِّيسيِّين الغَيُورِين الذين عاشُوا على الأرض.

لقد علَّمَ الرَّابِيُّونَ أو مُعَلِّمُو النَّامُوس أمثال بُولُس مُستَخدِمِينَ منهَجِيَّةَ الأسئِلَة والأجوبَة. بالحقيقَة، لقد كانُوا يُجِيبُونَ حتَّى على الأسئِلَةِ بأسئِلَةٍ أُخرى. سُئِلَ الرَّابِيُّ هِلِّل مرَّةً، "لماذا أنتُم الرَّابِّيُّونَ تُجيبُونَ دائماً على السُّؤالِ بِسُؤالٍ آخر؟" فأجابَ هذا الرَّابِيُّ المَشهُور، "ولِمَ لا؟" كَون بُولُس رابِّي جَيِّد، تصوَّرَ أنَّ قُرَّاءَ رِسالَتِهِ هذه يطرَحُونَ عليهِ أسئِلَة، أجابَ عليها لاحِقاً بالقَول: "فماذا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عندَ اللهِ ظُلماً. حاشا. لأنَّهُ يَقُولُ لِمُوسى إنِّي إرحَمُ من أرحَمُ وأتراءَفُ على من أتراءَف. فإذاً ليسَ لِمَن يشاءُ ولا لِمَن يسعَى بل للهِ الذي يَرحَم. لأنَّهُ يَقُولُ الكتابُ لِفِرعَون إنِّي لهذا بعَينِهِ أقمتُكَ لِكَي أُظهِرَ فيكَ قُوَّتِي ولكي يُنادَى بإسمِي في كُلِّ الأرض. فإذاً هُوَ يرحَمُ من يَشاءُ ويُقَسِّي من يَشاء." (رُومية ٩: ١٤- ١٨).

إنَّ مَثَلَ بُولُس عن مُوسَى وفرعَون يصعُبُ فهمُهُ وقُبُولُهُ أكثَر من مَثَلِهِ عن يعقُوب وعِيسُو. يعُودُ بُولُسُ إلى حوارِهِ بالسُّؤالِ والجَواب، بتَخَيُّلِ قارِئِهِ يطرَحُ الإعتِراضَ أنَّهُ لَيسَ عدلاً أن يخلُقَ اللهَ فرعون لمُجَرَّدِ قصدِهِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الصَّريح بأن يجعَلَهُ يُناقِضُ عمَلَهُ المُزمِع أن يعمَلَهُ في مصر. لا يبدُو أنَّهُ منَ العَدلِ أن اللهَ خلقَ فرعوناً مُتَمرِّداً، لكي يُظهِرَ اللهُ بهِ قُوَّتَهُ الجليلة، من خِلالِ الضَّرَباتِ العَشر التي وقَعَت على المِصريِّين.

جوابُ بُولُس على هذا السُّؤال، أمامَ السُّؤالِ الفَرَضِيّ، "من أنتَ أيُّها الإنسانُ الذي تُجاوِبَ الله؟" ثُمَّ يستخدِمُ إستِعارَةً عميقَةً كانت الإستِعارَةَ المُفضَّلَةَ عندَ النَّبيِّ إرميا (إرميا ١٨: ١-٦).

الإستِعارَةُ هي أنَّنا كبَشَرٍ مائِتين، نُشبِهُ الطِّين، واللهُ يُشبِهُ الفَخَّارِيّ الإلهي الذي ينحَتُ الطِّين. عندما يَقُومُ النَّحَّاتُ المَوهُوبُ بصناعَةِ آنِيَةٍ من كُتلَةٍ ضخمَةٍ منَ الطِّين، فهل يتكلَّمُ الطِّينُ معَ الفَخَّارِيّ أو النَّحَّات ليَقُولَ لهذا الفَنَّان كيفَ يُريدُهُ أن يعمَلَهُ ويُشَكِّلَهُ؟ الجوابُ الواضِحُ هُوَ أنَّ النَّحَّاتُ هُوَ سَيِّدٌ على الطِّين، وبإمكانِهِ أن يُقَرِّرَ أن يعمَلَ إناءً جميلاً من أجزاءٍ من هذا الطِّين، وبإجزاءٍ أُخرى منهُ يعمَلُ إناءً كانَ يستَخدِمُهُ النَّاسُ كالمِرحاضِ، قبلَ أن تُصبِحَ المجارِيرُ والمراحِيضُ العصريَّةُ مُتَوفِّرَةً داخِلَ المنازِل. ثُمَّ يُطَبِّقُ هذه الإستِعارَة على اللهِ في خَلقِهِ لمُوسى وفرعون من نفسِ الطِّينَةِ البَشَرِيَّة.

نَجِدُ هُنا الحقيقَةَ نَفسَها المُشَدَّد عليها في المقطَعِ الذي يتكلَّمُ عن رِفقَة وعنِ التَّوأمَينِ اللذينِ يتصارَعانِ في أحشائِها: "فإذاً ليسَ لِمَن يَشَاءُ ولا لِمَن يَسعَى بَل للهِ الذي يرحَم." (رُومية ٩: ١٦). الحقيقَةُ المَركَزِيَّةُ والأساسيَّةُ في هذه المقاطِع الصَّعبَة عنِ الإختِيار لا تكمُنُ في خيارِ اللهِ المُعتَمِد على سِيادَتِهِ. فزُخمُ هذينِ المقطَعَينِ هُوَ أنَّ الخلاصَ ليسَ نتيجَةً لأعمالِ ومَشيئَةِ وسَعيِ الإنسان، بل نتيجَةً لأعمالِ ومشيئَةِ وعنايَةِ وإختِيارِ ونعمَةِ الله.

يعقُوبُ هُوَ واحِدٌ من أعظَمِ النَّماذِجِ الكتابِيَّة عنِ النِّعمَة. فلقد بدأَ رحلَةَ إيمانِهِ ظانّاً أنَّ كُلَّ بركاتِهِ هي نتيجَة لذَهائِهِ ولإحتيالِهِ في إنتِزاعِ البَركاتِ وفي جعلِ الأُمُور تسيرُ كما يَشاءُ. ولكن عندما تصارَعَ معَ ملاكٍ، جعلَهُ اللهُ يعرِفُ أنَّهُ قد تبارَكَ بسَبَبِ نعمَةِ الله، التي لم يكتَسِبْها ولم يَستَحِقَّها ولم يُنجِزْها بجُهُودِهِ الشَّخصِيَّة.

لقد كانَ اللهُ يُحاوِلُ أن يُبارِكَ يعقُوب بنعمَتِهِ لمُدَّةِ عشرينَ عاماً، ولكنَّهُ لم يَستَطِعْ أن يجعَلَ يعقُوب يتوقَّفُ ساكِناً بشكلٍ كافٍ ليُبارِكَهُ. في إحدى أعظَمِ الصُّوَرِ المجازِيَّة عن النِّعمَة في الكتابِ المُقدَّس، أخذَ اللهُ هذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الرَّجُل يعقُوب (الذي دأبَ على السَّعيِ والتَّحريضِ والعَبَثِ بالأشياء والأشخاص، إلى أن كانت الأُمُور تسيرُ على ذَوقِهِ)، إلى مكانٍ يُسَمَّى "يَبُّوق،" والذي يعني بالعِبريَّة "الرَّكض." وهُناك جعلَهُ اللهُ أعرَجَ، فما عادَ بعدَها قادِراً على السَّعيِ والرَّكض (تكوين ٣٢: ٢٢- ٣٢).

طريقَةٌ أُخرى للتَّعبيرِ عن هذه الحقيقة نفسِها، هي بالقَولِ أنَّ اللهَ كانَ يُحاوِلُ أن يُعَلِّمَ يعقُوبَ بأن يعمَلَ شَيئاً طالَما أوصى بهِ الكتابُ المُقدَّس: "إنتَظِرِ الرَّبّ!" لقد شجَّعَ اللهُ شخصاً مثل يعقُوب أن ينتَظِرَ الرَّبَّ ومن ثَمَّ أن يُراقِبَ اللهَ يعمَلُ. ويُريدُنا اللهُ أن نَكُونَ أشخاصاً "نَدَعُ الأُمُورَ تأخُذُ مجراها." أمَّا يعقُوب فكانَ شَخصاً "يجعَلُ الأُمُورَ تحدُث،" لدَرَجَةِ أنَّهُ لم ينتَظِرْ الرَّبّ. لهذا خلعَ اللهُ حُقَّ فَخذِهِ فجعَلَهُ بذلكَ أعرَجَ. وبالنِّهايَة، عندَما يُصبِحُ الإنسانُ أعرَجَ أو مُقعَداً، ماذا يبقَى أمامَهُ إلا أن ينتَظِرَ الرَّبّ. أنا أُسَمِّي هذا "بركةُ تاج العَرَج ليَعقُوب." عندما كتبَ بُولُس في العددِ السَّادِس عشَر أنَّ الإختِيارَ ليسَ للذي يسعَى، بل للهِ، أعتَقِدُ أنَّهُ كانَ يُشيرُ إلى إختِيارِ يعقُوب في مخاضَةِ "يبُّوق."

إنَّ إشارَةَ بُولس إلى إختيار اللهِ لمُوسى وفرعَون من نفسِ الطِّينَة، يُرَكِّزُ على جَوابٍ كِتابِيّ على هذا السُّؤال الذي طرحَهُ بولُس، والذي ذَكَرتُهُ في تفسيري للإصحاحِ الخامِس من هذه الرِّسالة: "كيفَ دَخَلَ الشَّرُّ إلى هذا العالم؟" ولقد حيَّرَ هذا السُّؤالُ الفلاسِفَةَ واللاهوتيِّين منذُ ظهُورِ هذينِ الحقلَين في تاريخِ الفِكر. يُوجَدُ عَدَدٌ في نُبُوَّةِ إشَعياء يُخبِرُنا فيهِ اللهُ أنَّهُ: "مُصَوِّرُ النُّور وخالِقُ الظُّلمَة صانِعُ السَّلامِ وخالِقُ الشَّرّ. أنا الرَّبُّ صانِعُ كُلَّ هذهِ." (إشعياء ٤٥: ٧).

عندما يُريدُ صانِعُ الجَواهِرِ أن يعرُضَ ماساتِهِ، يَضَعُها على خَلفِيَّةٍ مخمَلِيَّةٍ سَوداء، لكي يُظهِرَ ويُبرِزَ جمالَها. يُخبِرُنا الكتابُ المُقدَّسُ أنَّ الشَّرَّ مَوجُودٌ هُنا بِمَشيئَةِ الله. فاللهُ لا يخلُقُ شَرّاً، ولكنَّ الشَّرَّ لا يُمكِنُهُ أن يكُونَ مَوجُوداً لو لم يسمَحِ اللهُ بِوُجُودِهِ. يستخدِمُ اللهُ في الكتابِ المُقدَّس الشَّرَّ كخَلفِيَّةٍ مخمَلِيَّةٍ سَوداء يُبرِزُ عليها جواهِرَ محبَّتِهِ وفدائِهِ.

يُمَثِّلُ إسمُ اللهِ جوهَرَ من هُوَ الله. فاللهُ هُوَ بالتَّأكيد ليسَ شِرِّيراً. في هذا المقطَع، نقرأُ أنَّ اللهَ إستَخدَمَ فِرعون وعِصيانَهُ لِتحريرِ بني إسرائيل،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

كخَلفِيَّةٍ مخمَلِيَّةٍ سوداء أظهَرَ اللهُ عليها قُوَّتَهُ العظيمة. فقصدُ اللهِ في هذا هُوَ أن يُعرَفَ إسمُهُ في كُلِّ الأرض.

بدَأَ بُولُس هذا المقطَع بالحِوارِ معَ أسئِلَةِ قُرَّائِهِ: "فماذا نَقُولُ؟ ألَعَلَّ عندَ اللهِ ظُلماً؟" (رُومية ٩: ١٤) جَوهَرُ جوابِهِ على هذا السُّؤال هُوَ أنَّ اللهَ سَيِّدٌ مُطلَق، وأنَّهُ يفعَلُ ما يشَاء. وبما أنَّ اللهَ عالِمٌ بِكُلِّ شَيء، فهُوَ لا يحتاجُ لا مِن قَريبٍ ولا من بعيد إلى نصيحَتِنا أو رَأينا. في تسبيحَةِ التَّمجيد الرَّائِعة التي يختُمُ بها بُولُس هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثة، يقتَبِسُ من إشعياء في تساؤُلِهِ: "لأن من عرفَ فِكرَ الرَّبِّ أو من صارَ لهُ مُشيراً؟" (رُومية ١١: ٣٤) فاللهُ سيترأَّفُ على من يَشاء، وعندما سيُقسِّي قَلبَ أشخاصٍ مثل فرعَون، لأسبابٍ لا يَعرِفُها أحدٌ سِواهُ، فهُوَ يفعَلُ ذلكَ لأنَّهُ يشاءُ أن يفعَلَ ذلكَ.

ثُمَّ يرجِعُ بُولُس إلى هذا الحوار الخيالِيّ معَ قُرَّائِهِ: "فستَقُولُ لي لماذا يَلُومُ بعد؟ لأنْ من يُقاوِمُ مشيئَتَهُ. بَل من أنتَ أيُّها الإنسانُ الذي تُجاوِبُ الله. أَلَعَلَّ الجبلَةَ تقُولُ لجابِلِها لماذا صنعتَني هكذا؟ أم لَيسَ لِلخَزَّافِ سُلطانٌ على الطِّينِ أن يصنَعَ من كُتلَةٍ واحِدَةٍ إناءً لِلكَرامَةِ وآخَرَ لِلهَوان؟" (رُومية ٩: ١٩- ٢١)

يستَطيعُ بُولُس بِسُهُولَةٍ أن يتخيَّلَ قُرَّاءَهُ وهم يُجيبُون، "هذا غَيرُ عادِل! فكَيفَ يُمكِنُ أن يَصنَعَ اللهُ فرعَون لهذا الهَدف، ومن ثَمَّ أن يدينَهُ على عمَلِهِ ما خالقَهُ ليَكُونَهُ ويعمَلَهُ؟" الجوابُ على هذا السُّؤال هُوَ، "كيفَ يُمكِنُنا كمخلُوقاتٍ أن نعتَرِضَ على الخالِق؟ فهل يُمكِنُ للطِّينَ أن يعتَرِضَ على الفَخَّارِيّ الذي يعمَلُ من هذا الطِّينِ إناءً؟ وبما أنَّنا مُجَرَّدُ طِينٍ في يدَي الله، فمَنْ نحنُ حتَّى نضعَ أنفُسَنا في دَورِ مُشيرِينَ للهِ ونَاصِحِينَ لهُ؟

في سفرِ أيُّوب يُوجَدُ مَثَلٌ جميلٌ حولَ الحقيقَةِ التي يُقدِّمُها بُولُس هُنا، من خلالِ الطَّريقَة التي يُجيبُ بها على هذا السُّؤال بِسُؤالٍ آخر. لقد كانَ يُعتَبَرُ أيُّوب واحداً من أكثَرِ النَّاسِ حكمَةً وبِرّاً عاشَ في زمانِهِ. لقد إنخَرَطَ في حِوارٍ معَ ثلاثَةٍ من أصدِقائِهِ، الذين كانُوا بِدَورِهِم يُعتَبَرُونَ أيضاً رجالاً حُكماءَ في تلكَ الحضارَة. عندما نَصِلُ إلى الإصحاحِ الثَّامِن والثَّلاثِين من "مَلحَمَةِ الألَمِ" تِلكَ، نجدُ أنَّ اللهَ إنخَرَطَ في حوارِهِم، وأقامَ حديثاً مُدهِشاً معَ أيُّوب، إستَمَرَّ لِبضعَةِ إصحاحاتٍ، فيما يُعتَبَرُ أقدَمَ سِفرٍ في الكتابِ المقدَّس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

لقد أرغَمَ اللهُ أيُّوبَ على التَّواضُعِ من خلالِ سَيلٍ منَ الأسئِلَةِ التي لا يستَطيعُ أيُّوب الإجابَةَ عنها. لقد طرحَ اللهُ على أيُّوب أسئِلَةً عن الخَلقِ، فسألَ أيُّوبَ ما معناهُ، "ماذا تَعرِفُ عنِ الخَلقِ يا أيُّوب؟"

"أينَ كُنتَ؟ أينَ كُنتَ عندما خَلَقتُ السَّماواتِ والأرض؟" ولقد طَرَحَ اللهُ على أيُّوب أسئِلَةً عنِ النُّجُوم في المَجمُوعَةِ الشَّمسِيَّة، وعنِ الطَّقس، وعنِ البَرقِ وقضايا أُخرى كثيرَة، لم يكُن أيُّوب يفهَمُها ولم تَكُنْ لدَيهِ أيَّةُ سَيطَرَةٍ عليها. وهُنا نَجِدُ بُولُس يفعَلُ تقريباً الشَّيءَ نفسَهُ، عندما يطرَحُ السُّؤالَ عن كيفَ يُمكِنُ للإنسانِ المحدُود و المائِت أن يستَجوِبَ اللهَ ويعتَرِضَ على أحكامِهِ. ثُمَّ يسأَلُ بُولُس، "أم لَيسَ لِلخَزَّافِ سُلطانٌ على الطِّينِ أن يصنَعَ من كُتلَةٍ واحِدَةٍ إناءً لِلكَرامَةِ وآخَرَ لِلهَوان؟" (رُومية ٩: ٢١).

الأشخاصُ الذين يَعيشُونَ في دُوَلٍ ذات أنظِمَة ديمُوقراطِيَّة، لا يُحِبُّونَ فكرَةَ كونِ اللهِ ذَا سِيادَة مُطلَقة وسَيطرَةً كامِلَة على خليقَتِهِ – خاصَّةً على حياتِهِم. فالدِّيمُوقراطِيَّة مَبنِيَّة على الإقتِناعِ أنَّهُ لا ينبَغي الوُثُوقَ بأيِّ كائِنٍ بَشَرِيٍّ بإعطائِهِ سُلطَةً مُطلَقَةً على الآخرين. الحُكُومَةُ الدِّيمُوقراطِيَّة تُشارِكُ السُّلطَةَ والمَسؤولِيَّة، وتجعَلُ حُكَّامَها يُؤدُّونَ حساباً عن أدائِهم أمَامَ الشَّعبِ الذي يحكمُونَهُ. بِغَضِّ النَّظرِ عنِ المكانِ الذي نَعيشُ فيهِ، فإنَّ مُشكِلَتَنا معَ هذا التَّعليم قد تَكُونُ أنَّنا نُقاوِمُ مفهُومَ سيادَةِ اللهِ المُطلَقَة، لأنَّنا لا نَثِقُ باللهِ ولا نمنَحُهُ سَيطَرَةً كامِلَةً على حياتِنا.

ولكنَّ مَفهُومَ مَلَكُوتِ اللهِ يعني أنَّ اللهَ مَلِكٌ لدَيهِ سُلطانٌ مُطلَقٌ، وسُلطَةٌ وسيطَرَةٌ على رَعاياهُ. فمَلَكُوتُ اللهِ ليسَ نظاماً دِيمُوقراطِيَّاً. فليسَت هُناكَ أيَّة دِيمُوقراطِيَّة في العلاقَةِ بينَ الرَّاعِي و الخِراف. اللهُ هُوَ الرَّاعي الصَّالِح والعَظيم لإسرائيل، ويسُوعُ هُوَ "راعي الخراف العَظيم." (يُوحَنَّا ١٠: ١١، عبرانِيِّين ١٣: ٢٠، ٢١) ذاتَ يَوم، سوفَ يأتي يسُوعُ ثانِيَةً كمَلِكِ المُلُوك ورَبِّ الأرباب. يُجيبُ بُولُس هُنا على مُتسائِلٍ إفتِراضِيّ، بتقديمِ التَّصريحِ المُوحَى بهِ أنَّ اللهَ هُوَ مَلِكُ المُلُوك ورَبُّ الأرباب، وأنَّ اللهَ يعمَلُ ما يَشَاء. (١تيمُوثاوُس ٦: ١٥).

ثُمَّ يُقدِّمُ بُولُس المَوضُوعَ الحقيقيّ لهذه الإصحاحَاتِ الثَّلاثَة، عندما يُخبِرُنا عن نَوعَينِ منَ الآنِيَة: "فماذا إن كانَ اللهُ وهُوَ يُريدُ أن يُظهِرَ غَضَبَهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

ويُبَيِّنَ قُوَّتَهُ، إحتَمَلَ بِأَناةٍ كَثيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً للهَلاك. ولِكَي يُبَيِّنَ غِنَى مجدِهِ على آنِيَةِ رحمَةٍ قد سَبَقَ فأَعَدَّها لِلمَجد. التي أيضاً دَعانا نحنُ إيَّاها، ليسَ منَ اليَهُودِ فقط بَل منَ الأُمَمِ أيضاً؟" (٢٢- ٢٤)

هذه الإصحاحاتُ الثَّلاثَة تُصبِحُ من أهَمِّ المقاطِعِ النَّبَوِيَّة في الكتابِ المُقدَّس ومن أكثَرِها تعبيراً، عندما يبدَأُ بُولُس بِعَرضِ المَوضُوع، الذي سيَستَمِرُّ بِهِ وُصُولاً إلى نهايَةِ الإصحاحِ الحادِي عشَر. وسوفَ يُظهِرُ منَ العهدِ القَديم أنَّ خُطَّةَ اللهِ كانت دائماً أن يُوصِلَ الخلاصَ إلى الأُمَم، كما إلى اليَهُود. عندما فَوَّضَ اللهُ إبراهيم ليَكُونَ أباً لهذا الشَّعبِ الفَريد، كانَ وعدُهُ لإبراهيم أنَّ كُلَّ أُمَمِ الأرضِ سَتَتَبَارَكُ بإبراهيم (تكوين ١٢: ٣).

وهُوَ يقتَبِسُ من هُوشَع ليُظهِرَ أنَّ تخليصَ الأُمَم لم يَكُنْ مُجَرَّدَ نَوعٍ منَ الخُطَّةِ البَديلَة التي طبَّقها اللهُ عندما رَفَضَ اليَهُودُ المَسيَّا. "كما يَقُولُ في هُوشَع أيضاً سأَدعُو الذي ليسَ شَعبِي شَعبِي والتي ليسَت محبُوبَة محبُوبَة. ويكُونُ في المَوضِعِ الذي قِيلَ لهُم فيهِ لَستُم شَعبي أنَّهُ هُناكَ يُدعَونَ أبناءَ اللهِ الحَيّ." (رُومية ٩: ٢٥- ٢٦)

ثُمَّ يقتَبِسُ مقاطِعَ من إشَعياء تُظهِرُ أنَّهُ عندما يُصبِحُ الأُمَمُ جُزءاً من الكنيسة، سيَكُونُ هُناكَ بَقِيَّةٌ منَ اليَهُودِ مثلَهُ الذينَ سيَخلُصُون (رُومية ٩: ٢٧- ٢٨؛ إشعياء ١٠: ٢٢، ٢٣). بَعدَ الإقتِباسِ من إشعياء، يربِطُ بُولُس بينَ هذا المَوضُوع النَّبَوِيّ عن إسرائيل وبينَ الحجَّةِ التي ذُكِرَت في الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى من هذه الرِّسالَة، عندما يكتُبُ قائِلاً، "فماذا نَقُولُ. إنَّ الأُمَمَ الذين لم يسَعُوا في أَثَرِ البِرِّ أدرَكُوا البِرَّ. البِرَّ الذي بالإيمان. ولكنَّ إسرائيل وهُوَ يسعَى في أثَرِ نامُوسِ البِرِّ لم يُدرِكْ نامُوسَ البِرّ. لماذا؟ لأنَّهُ فعلَ ذلكَ ليسَ بالإيمانِ، بل كأنَّهُ بأعمالِ النَّامُوس. فإنَّهُم إصطَدَمُوا بِحَجَرِ الصَّدمَة. كما هُوَ مَكتُوبٌ ها أنا أضَعُ في صِهيَون حجرَ صَدمَةٍ وصَخرَةَ عثرَةٍ وكُلُّ من يُؤمِن به لا يُخزَى." (رُومية ٩: ٣٠- ٣٣).

هل بإمكانِكُم أن تتصوَّرُوا كم كانَ صعباً على هذا الرَّابِيِّ اليَهُودِيِّ المُحافِظ والمُتَعلِّم، الذي كانَ "عبرانِيّاً منَ العِبرانِيِّين،" وفيما يتعلَّقُ بنامُوسِ الفَرِّيسيِّين، أن يستَوعِبَ ويتمثَّلَ الحقيقَةِ المُمَثَّلَةَ في هذا المقطَع؟ (فيلبِّي ٣: ٤- ٦)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

لقد كانَ الفَرِّيسيُّونَ مُنَظَّمِينَ ومُدَرَّبينَ ليُحافِظُوا على إستِقامَةِ الإيمانِ اليَهُودِيّ. وخلالَ كُلِّ حياتِهِ البالِغَة، كانَ هذا الإنسانُ مُلتَزِماً بتَعَصُّبٍ بالمُحافَظَةِ على إستِقامَةِ العقيدَةِ القائِلَةِ بأنَّ البِرَّ والخلاصَ يُمكِنُ أن يُكتَسَبا بحفظِ نامُوسِ الله. ولكن من خلالِ لِقائِهِ الخارِق للطَّبيعَة معَ المسيحِ القائِم منَ المَوت على طَريقِ دِمَشق، ومن خلالِ وقتِهِ الذي قضاهُ معَ الرَّبِّ يسُوع في صحراءِ العَرَبِيَّة، إكتَشَفَ بُولُس إنجيلَ الخلاصِ، والبِرَّ الذي منَ الإيمان، وعَطِيَّةَ اللهِ بنعمَةِ اللهِ لأُولئكَ الذين سيُؤمِنُونَ بيسُوع المسيح. لا بُدَّ أنَّ هذا كانَ بِمثابَةِ هَزَّةٍ لاهُوتيَّةٍ وفلسَفِيَّة في قَلبِ وعقلِ هذا الرَّجُلِ الفَرِّيسيّ بُولُس.

إن كُنتُم تَذكُرُون، كانَ هذا جَوهَرُ ما كتبَهُ بُولُس في الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة. إنَّهُ يُعلِنُ هُنا في هذه الأعداد جوهَرَ ما كرزَ بهِ وكتبَهُ للكُورنثِيِّين: أنَّ القَضِيَّةَ هي يسُوع المسيح وإيَّاهُ مَصلُوباً، الأمرُ الذي كانَ ولا يزالُ حجرَ عثَرَةٍ لِليَهُودِ (١كُورنثُوس ١: ٢٣).

لم يَفهَمْ أحدٌ أكثَرَ من بُولُس لماذا تعثَّرَ اليَهُودُ بهذه القَضيَّة البَسيطة من الإنجيل، أي قضيَّة البِرّ الذي هُوَ عَطِيَّة مَجَّانِيَّة منَ اللهِ بنعمَةِ الله، والمُعلَن بالإيمانِ بِيَسُوع المسيح. لِهذا إضطَّهَدَ كنيسَةَ يسُوع المسيح بِقَسوَةٍ، قبلَ أن يختَبِرَ التَّجديدَ العجائِبيّ على طريقِ دِمشق، عندما إستَوقَفَهُ المسيحُ الحَيُّ المُقامُ وجعلَ منهُ "رَسُولَ الأُمَم" العَظيم (رُومية ١١: ١٣).

الفَصلُ الثَّانِي
"ماذا ينبَغي عَلَيَّ أن أَفعَلَ لِكَي أخلُص؟"
(رُومية ١٠: ١- ١٣)

العُنوانُ الذي وضَعتُهُ لهذا الفَصل هُوَ سُؤالٌ طرَحَهُ سَجَّانٌ على الرَّسُولِ بُولُس في سِجنٍ في مَدينَةِ فيلبِّي. وكانَ جوابُ بُولُس لهُ، "آمِنْ بالرَّبِّ يسُوع المسيح، فتَخلُصْ أنتَ وأهلُ بَيتِكَ." (أعمال ١٦: ٣٠، ٣١). وها نحنُ الآنَ نقتَرِبُ من الإصحاحِ العاشِر من رِسالَةِ بُولُس الرَّسُول إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

أهلِ رُومية، والتي سنَجِدُ فيها أوضَحَ جوابٍ في العهدِ الجديد على السُّؤالِ الذي طرَحَهُ سَجَّانُ فيلبِّي على بُولُس الرَّسُول.

عندما تُستَخدَمُ كَلِمَة "تَخلُّصُ" من قِبَلِ أتباعٍ حقيقيِّينَ للمسيح، تَكُونُ أحياناً مُربِكَةً لا بل هُجُومِيَّةً بالنِّسبَةِ لِغيرِ المُؤمنين الذين يلتَقيهِم المُؤمِنُونَ في حياتِهِم اليَوميَّة. نحنُ نستَخدِمُ الكلمة بكَثرَةٍ معَ المُؤمنين، لدَرَجَةِ أنَّنا لا نُدرِكُ دائماً أنَّ غيرَ المُؤمنين ليسَ لدَيهِم فكرَةٌ عمَّا نعنيهِ عندما نستَخدِمُ هذه الكلمة. إنَّ كَلِمَة "تخلُّص،" تعني حرفيَّاً "تُنقَذ." ولكي نَقدُرَ قيمَةَ هذه الكلمة، علينا أن نطرَحَ السُّؤال، "نُنقَذُ من ماذا؟" قد يسألُنا غيرُ المُؤمنين هذا السُّؤال، إذا طرحنا عليهم السُّؤالُ ما إذا كانُوا مُخَلَّصِين أو مُنقَذِين. فسيَكُونُ سُؤالُهُم، "مُخَلَّصِينَ أو مُنقَذِينَ من ماذا؟"

حوالي ٤٠ بالمئة منَ المرَّاتِ التي إستَخدَمَ فيها يسُوعُ هذه الكلمة، يتكلَّمُ عن كَونِ الإنسانِ مُخَلَّصاً من عقابِ الخطيَّةِ المُستَقبَلِيّ. في العهدِ الجديد، يُعَلِّمُ يسُوعُ بإستِمرارٍ وبإسهابٍ أنَّهُ بعدَ المَوت، سيكُونُ هُناكَ إحتِمالانِ لا ثالِثَ لهُما: السَّماء أو جهنَّم. ولكن ٦٠ بالمائة من إستخدامِ يسُوع لهذه الكلمة، نَجِدُهُ يتكلَّمُ عن كَونِ الإنسان يُنقَذُ من عقابِ الخطيَّةِ الحاضِر. فالنَّاسُ يخلُصُونَ من القُيُود، مثل المرأة التي كانت مُنحَنِيَةَ الظَّهرِ بما نُسمِّيهِ اليَوم بمرَضِ التَّكَلُّس لمُدَّةِ ثمانِيَةِ عشَر عاماً. لقد وصَفها يسُوعُ بأنَّها كانت مُقَيَّدَةً للشَّيطان طِوالَ تلكَ السِّنين (لُوقا ١٣: ١١- ١٦).

صَلَّى بُطرُس إحدَى أقصَر الصَّلواتِ وأفصَحَها في الكتابِ المُقدَّس. فعندَما مَشَى على بَحرِ الجليل في وسطِ ليلَةٍ عاصِفَة، حوَّلَ عينيهِ عن الرَّب، ونقرأُ أنَّهُ، "عندَما إبتدأَ يغرَق، صرخَ قائِلاً: يا رَبّ نَجِّني!" (متَّى ١٤: ٣٠) وفي الحال، أنقَذَهُ يسُوعُ منَ الغَرَق. في رحلاتِ إيمانِنا، غالِباً ما تُواجِهُنا تلكَ الأزمات التي تُنَمِّي وتُطَوِّرُ إيمانَنا، عندما يتحتَّمُ علينا أن نُصَلِّي تلكَ الصَّلاة البَليغَة، الهامَّة، والمَصِيريَّة.

في هذا الإصحاح، عندما يُخبِرُنا بُولُس كيفَ نخلُصُ، يتكلَّمُ بالإجمالِ عن تلكَ النَّاحِيَة المُستَقبَلِيَّة والأبَدِيَّة من خلاصِنا. سواءٌ أكانَ هذا المَوقِفُ هُجُومِيَّاً أم لا، فإنَّ تلاميذَ يسُوع الذي يأخُذُونَ تطبيقَ مأمُوريَّة المسيح العُظمَى على مَحمَلِ الجَدّ، عليهِم أن يُطَبِّقُوا هذه الكلمة "مُخَلَّص" لأنَّ الحقيقَةَ الأساسيَّة عن الحياةِ الأبديَّة والمَوتِ الأبديّ، هي أنَّ النَّاسَ هم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

هالِكُونَ وضالُّونَ بدُونِ الله. فليسَ علينا أن ننتَظِرَ إلى أن نَمُوتَ أو نهلِك. فنحنُ أصلاً هالِكُونَ وضالُّون. لهذا علينا أنا وأنتَ أن نخلُص! ولهذا تُوصَفُ رسالَةُ يسُوعُ بأنَّها الإنجيل، أو الأخبار السَّارَّة.

عندَما يعرِفُ النَّاسُ أنَّهُم هالِكُون، يأتي التَّصريحُ الكِتابِيُّ التَّالِي خبراً مُفرِحاً جدَّاً: "لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللهُ العالَمَ، حتَّى بَذَلَ إبنَهُ الوحيد، لكَي لا يهلِكَ كُلُّ من يُؤمِنُ بهِ، بل تَكُونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة. (يُوحَنَّا ٣: ١٦).

يبدَأُ بُولُس هذا الإصحاح بالتَّعبيرِ مُجَدَّداً عن إهتِمامِهِ وتثَقُّلِهِ الحقيقيّ بخلاصِ اليَهُود: "أيُّها الإخوة إنَّ مَسَرَّةَ قَلبِي وطِلبَتِي إلى اللهِ لأجلِ إسرائيل هي لِلخَلاص. لأنِّي أشهَدُ لهُم أنَّ لهُم غَيرَةً للهِ ولكن ليسَ حسبَ المَعرِفَة. لأنَّهُم إذ كانُوا يجهَلُونَ برَّ اللهِ ويطلُبُونَ أن يُثبِتُوا برَّ أنفُسِهِم، لم يُخضَعُوا لِبِرِّ الله. لأنَّ غايَةَ النَّامُوس هي المسيحُ لِلبِرِّ لِكُلِّ من يُؤمِنُ." (رُومية ١٠: ١-٤)

وإذ يتكلَّمُ بُولُس من قَلبٍ مُفعَمٍ بالمَحَبَّةِ والعَطفِ على اليَهُود، يمدَحُهُم على غَيرَتِهِم في مُحاوَلَتِهِم لإثباتِ بِرِّ أنفُسِهِم. وهُوَ يرى نفسَهُ في مُحاوَلَتِهِم لإثباتِ بِرِّهم الذَّاتِي، لأنَّ هذه كانت الدَّافِع الأساسيّ في حياتِهِ قبلَ أن يلتَقِيَ بالمسيحِ المُقامَ. ولقد ختمَ هذا المقطَع بالقَولِ أنَّ المَسيحَ هُوَ غايَةُ النَّامُوس لِكُلِّ من يُؤمِن. ويعني بُولُس بهذا أنَّ غايَةَ نامُوسِ اللهِ كانت أن يَكُونَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنا لِيَصِلَ بنا إلى المسيح (غلاطية ٣: ٢٤). وهُوَ يقصِدُ أيضاً أنَّ المسيحَ كانَ ولا يزالُ مُتَمِّمَ النَّامُوس (رُومية ١٠: ٤؛ متَّى ٥: ١٧).

إنَّهُ مُثقَلٌ بشِدَّة لأجلِ هؤلاء اليَهُود، لأنَّهُ يعرِفُ خيبات الأمل واليأس والفَشل الذي أصابَهُ في سَعيهِ الغَيُور لتحصيلِ الخلاص بالبِرِّ الذَّاتِي. ولِعِدَّةِ سنواتٍ، إختَبَرَ اليأسَ من مُحاوَلَةِ إكتِسابِ البِرّ، الذي أراهُ إيَّاهُ المسيحُ بأنَّهُ عَطيَّةٌ منَ اللهِ تُقبَلُ بالإيمانِ، بواسِطَةِ ما فعَلَهُ مُخَلِّصُنا من أجلِنا.

وواضِحٌ أنَّ هذا وصفٌ يُظهِرُ لليَهُودِ، الذين كانَ يكتُبُ لَهُم، ولي ولكَ، الفَرقَ بينَ مُحاوَلَةِ إكتسابِ برِّنا، وبينَ قُبُولِهِ منَ اللهِ كعَطِيَّةِ البِرِّ المجَّانِيَّة، بالإيمانِ بما فعلَهُ يسُوعُ من أجلِنا على الصَّليب.

في الإصحاحِ التَّاسِع من هذه الرِّسالَة، يستَخدِمُ بُولُس إسرائِيلَ ليُوضِحَ نقيضَ ما علَّمَ بهِ في الإصحاحِ الثَّامِن.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

في الإصحاحِ الثَّامِن، وفي الجزءِ الأوَّلِ منَ الإصحاحِ التَّاسِع، عَلَّمَ بُولُس مُعجِزَةَ الإختيار الإلهيّ المَبنِيِّ على سِيادَةِ الله. أكَّدَ بُولُس الإنتِصار الرُّوحِيّ لأُولئِكَ الذين سبقَ اللهُ فعَرَفَهُم وعَيَّنَهُم ودَعاهُم وبَرَّرَهُم ومَجَّدَهُم. في الإصحاحِ التَّاسِع، وبعدَ التَّعليم بأنَّ اللهَ إختارَ يعقُوبَ ورفضَ عيسُو قبلَ أن يُولَدا، أبرزَ بُولُس الحقيقَةَ الرَّهيبَة أنَّ شَعبَ إسرائيل إستَخدمُوا حُرِّيَّتَهُم ككائِناتٍ ذاتِ خيارٍ حُرّ، وإختارُوا أن لا يكُونُوا مُختارِينَ منَ الله.

وهُنا، في الإصحاحِ العاشِر، يتكلَّمُ بُولُس عنِ الخلاصِ لليَهُود، للأُمَم، ولكُلِّ من يدعُو بإسمِ الرَّبّ، وكأنَّ مُعجِزَةَ إختِيارِ الخلاص هي بِبَساطَةٍ قَضِيَّةَ كُلِّ من يختارُ أن يدعُوَ بإسمِ الرَّبّ. وكما أشَرتُ سابِقاً، يُعتَبَرُ هذا واحِداً من أعظَمِ المُتناقِضاتِ في الكتابِ المُقدَّس. الطريقَةُ الوحيدَةُ لإيجادِ حَلٍّ لهذا التَّناقُض، هُوَ بِقُبُولِ الحقيقَةِ الصَّعبَة بأنَّ القَضِيَّةَ هي ليسَت واحِداً منَ الإثنين، بل الإثنَينِ معاً. فاللهُ يختارُنا، ولكنَّنا نحنُ بِدَورِنا نتَّخِذُ الخيارَ والخُطوات المَصيريَّة التي تُقَرِّرُ مصيرَنا الأبديّ.

رُغمَ أنَّ بُولُس يُؤمِنُ بالإختيارِ الإلهيِّ المَبنِي على سِيادَةِ الله، ولكنَّهُ يُصَلِّي بحرارةٍ ولجاجَة لأجلِ خلاصِ إخوتِهِ وأخواتِهِ اليَهود، والذين لم يختَبِرُوا ذلكَ التَّغيير الجَذرِيّ في شَغَفِهِم بالبِرِّ الذَّاتِي، ذلكَ التَّغيير الذي إختَبَرَهُ هُوَ عندَما إلتَقى بالمسيح.

علينا أن لا نَترُكَ مجالاً لِفِكرَةِ أنَّهُ بِسَببِ سيادَةِ اللهِ، ليسَ بإمكانِنا أن نُغَيِّرَ أيَّ شَيءٍ من خلالِ صلواتِنا. يَقُولُ بُولُس في رسائِلِهِ الرَّاعَويَّة أنَّ "اللهَ يُريدُ أنَّ جميعَ النَّاسِ يخلُصُون وإلى مَعرِفَةِ الحَقِّ يُقبِلُون." بعدَ قيامِهِ بهذا التَّصريح، ينصَحُ بُولُس بأن تُقامَ صلواتٌ بِحرارَةٍ لأجلِ جميعِ النَّاس. عندما نتأمَّلُ كنائِسُنا بالمشارِيع والأهداف الإرسالِيَّة اليَوم، وعندما يَتِمُّ وَضْعُ الأولويَّات، علينا أن نُدرِكَ أنَّ هذه الصَّلواتِ لأجلِ خلاصِ الجميع، ينبَغي أن تُقَدَّمَ "أوَّلَ كُلِّ شَيء!" (١تيمُوثاوُس ٢: ١- ٤).

يُشِيرُ بُولُس بإسهابٍ إلى هؤُلاء اليَهُود الذين كانُوا يُحاوِلُونَ تحقيقَ الخلاصِ ببِرِّهِم الذَّاتِي، لأنَّهُ لا يُوجَدُ يَهُودِيٌّ حاوَلَ أكثَرَ من شاوُل الطَّرسُوسِي نفسه بأن يُحَقِّقَ هذا النَّوع منَ البِرّ. ولقد أخبَرنا بُولُس بصراعِهِ العديمِ الجَدوى لتحقيقِ هذا النَّوع منَ البِرّ في الإصحاحِ السَّابِع من هذه الرِّسالَة، وفي الإصحاحِ الثَّالِث من رسالَتِهِ إلى كنيستِهِ المُفَضَّلَة في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

فيلبِّي. وبعطفٍ كبير، كتبَ لهؤُلاء اليَهُودِ وعنهُم قائِلاً: "لأنَّ مُوسَى يكتُبُ في البِرِّ الذي بالنَّامُوسِ إنَّ الإنسانَ الذي يَفعَلُها سَيَحيا بها. وأمَّا البِرُّ الذي بالإيمانِ فيَقُولُ هكذا لا تَقُلْ في قَلبِكَ من يَصعَدُ إلى السَّماءِ أي ليُحدِرَ المسيح. أو من يهبِطُ إلى الهاوِيَةِ أي ليُصعِدَ المسيحَ منَ الأموات؟ لكن ماذا يَقُولُ؟" (رُومية ١٠: ٥- ٦) نُلاحِظُ الجُملَةَ الإعتِراضِيَّةَ التي أدخَلَها بُولُس في وسطِ النَّصِّ هُنا.

يقتَبِسُ بُولُس مقطَعاً مُحَيِّراً كتبَهُ مُوسى في سفرِ التَّثنِيَة (٣٠: ١٢-١٤). يُرينا هذا المقطَع أنَّ مُعطي النَّامُوس العَظيم أدركَ دائماً مقاصِدَ وحُدُودَ نامُوسِ الله، الذي أُعطِيَ لِشعبِ اللهِ من خلالِه على جَبَلِ سيناء. لقد عرفَ مُوسى أنَّ القَصدَ منَ النَّامُوس كانَ أن يُظهِرَ لنا أنَّنا نحتاجُ إلى الفَادِي، المسيح، الذي نزَلَ منَ السَّماء، ليَكُونَ حمَلَ الذَّبيحَةِ الكامِل، وليَمُوتَ ويَقُومَ منَ المَوتِ، لكي ننالَ البِرَّ الذي يُنالُ بالإيمانِ وبالنِّعمَة.

لقد رأى مُوسَى حقيقَةَ الإنجيل هذهِ نبَوِيَّاً. عندما أعلَنَت الملائِكَةُ الأخبارَ السَّارَّة أنَّ المسيحَ كانَ ينبَغي أن يُولَدَ، وأنَّ هذا كانَ سيمنَحُ فرحاً عظيماً لجَميعِ الشَّعب، كانَ هذا بِبَساطَةٍ قِمَّةَ ما بدأَهُ اللهُ من خلالِ إبراهيم وتابَعَهُ من خلالِ مُوسى بإعطاءِ النَّامُوس (لُوقا ٢: ١٠، ١١). لقد رأى مُوسى أنَّهُ رُغمَ أنَّ حقَّ اللهِ جاءَ لِشَعبِ اللهِ من خلالِهِ، إلا أنَّ النِّعمَةَ والحَقَّ صارَا لِشعبِ اللهِ من خلالِ المسيح المَصلُوب والمُقام.

ولقد رأى أيضاً الإنتصارَ الرُّوحيّ الذي وصفَهُ بُولُس في الإصحاحِ الثَّامِن من هذه الرِّسالَة. وأدركَ أنَّ البِرّ، الذي سيُتَمِّمُ نامُوسَ الله، لن يرتَبِطَ بِبساطَةٍ بحفظِ النَّامُوس، بل بإلهٍ ديناميكيٍّ خارِقٍ للطَّبيعة، الذي سيَضَعُ هذا البِرّ في قُلُوبِ شَعبِهِ.

كتبَ بُولُس يَقُولُ أنَّ البِرَّ الذي منَ الإيمان، لديه أمرٌ هامٌّ يَقُولُهُ لنا. وهُوَ يُثيرُ إهتِمامَنا في ما يَقُولُهُ، بختمِ المقطَعِ أعلاهُ بسُؤال، "ماذا يَقُول؟" وها هُوَ الآن يُخبِرُ جميعَ النَّاسِ الهالِكين في كُلِّ مكانٍ وكُلِّ زَمانٍ كيفَ يُمكِنُهُم أن يخلُصُوا، عندما يُجيبُ على هذا السُّؤال. هذا ما هُوَ البِرّ الذي منَ الإيمان، الذي يَقُولُ لنا: "الكلمَةُ قَريبَةٌ منكَ في فَمِكَ وفي قَلبِكَ أي كَلِمَةُ الإيمانِ التي نَكرِزُ بها." (رُومية ١٠: ٨)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

البِرُّ الذي منَ الإيمان وبالإيمانِ يَقُولُ لنا أنَّ كلِمَةَ اللهِ هي في قَلبِنا وفي فَمِنا. الفَمُ يُشيرُ إلى الإنسانِ الخارِجيّ، والقَلبُ يُشيرُ إلى الإنسانِ الدَّاخِليّ. ولقد علَّمَنا يسُوعُ أنَّهُ، "من فَضلَةِ القَلبِ يتكلَّمُ اللِّسان." لُوقا ٦: ٤٥). بِكَلِماتٍ أُخرى، بإمكانِكَ أن تعرِفَ ماذا يجري في القَلب، من خلالِ ما يُعَبَّرُ عنهُ بالفَم. يُذكَرُ القَلبُ أكثَرَ من ألفِ مرَّةٍ في الكتابِ المُقدَّس. وعندما تَتِمُّ الإشارَةُ إلى القَلبِ في كلمَةِ الله، يَتِمُّ تَوجِيهُنا إلى جوهَرِ كيانِنا، حَيثُ نُحبُّ اللهَ، ونتَّخِذُ قراراتٍ، ونُشَكِّلُ دوافِعَنا ونَضَعُ قِيمَ أولَوِيَّاتِ حَياتِنا.

لِهذا أعطانا بُولُس نصيحَةً واضِحَةً عن كيفَ يُمكِنُنا أن نخلُصَ، عندما كتبَ قائِلاً: "لأنَّكَ إن إعتَرَفتَ بِفمِكَ بالرَّبِّ يسُوع، وآمنتَ بِقَلبِكَ أنَّ اللهَ أقامَهُ منَ المَوتِ خَلُصت. لأنَّ القَلبَ يُؤمَنُ بهِ لِلبِرِّ والفَمَ يُعتَرَفُ بهِ للخَلاص. لأنَّ الكتابَ يَقُولُ كُلُّ من لا يُؤمِنُ بهِ لا يُخزَى. لأنَّهُ لا فَرق بينَ اليَهُودِيِّ واليُونانِيّ لأنَّ رَبّاً واحِداً لِلجَميعِ غَنِيّاً لِجَميعِ الذين يدعُونَ بهِ. لأنَّ كُلَّ من يدعُو بإسمِ الرَّبِّ يخلُص." (رُومية ١٠: ٨- ١٣).

يعتَبَرُ هذا الجواب أكثَرَ كَمَالاً على السُّؤال الذي طَرَحَهُ سَجَّانُ فيلبِّي على بُولُس. نجدُ هُنا أوضَحَ وأبسَطَ توضِيحٍ في الكتابِ المُقدَّس عن كيفَ يُمكِنُ الإنسان أن يخلُص. يُعلِّمُنا الكتابُ هنا أن نُؤمِنَ بقُلُوبِنا وأن نعتَرِفَ بأفواهِنا ثُمَّ يَعِدُنا الكتابُ بأنَنا سنخلُص. فهل نحنُ نُؤمِنُ بِقُلُوبنا بالفعل؟ وهل نعتَرِفُ بحياتِنا بما نَقُولُ أنَّنا نُؤمِنُ بهِ بِقُلُوبِنا؟

إذا دَرَسنا الأماكن التي تُشيرُ إلى القَلب في الكتابِ المُقدَّس، والتي يزيدُ عدَدُها عنِ الألف، سوفَ نَجِدُ أنَّ ما يُسَمِّيهِ الكتابُ المُقدَّسُ أحياناً بالقَلب، يُشيرُ إلى الرُّوح، الإرادَة، العَقل، العاطِفَة، الشُّعُور، ونواحٍ أُخرى كثيرَة من تلكَ التي تجعَلُ منَّا كائناتٍ مَخلُوقَةً على صُورَةِ اللهِ ومِثالِهِ. يُوجَدُ تعبيرٌ في العهدِ الجديد، الذي يشمَلُ كُلَّ هذه النَّواحي منَ الحياةِ البَشَريَّة. كتبَ بُولُس يَقُولُ، "لذلكَ لا نَفشَل، بل وإن كانَ إنسانُنا الخارِجُ يفنَى فالدَّاخِلُ يتجدَّدُ يَوماً فيَوماً." (٢كُورنثُوس ٤: ١٦) كُلُّ هذه النَّواحي يُشيرُ إليها الكتابُ المُقدَّس عندما يتكلَّمُ عن قُلُوبِنا التي يُمكِنُ أن تُسَمَّى "بالإنسانِ الدَّاخِليّ."

مُنذُ عِدَّةِ سنواتٍ، كانَ يُوجَدُ رَجُلٌ يُدعَى JOHN QUINCY ADAMS ، وكانَ يجتازُ الشَّارِع. وكانَ مُعتَلَّ الصِّحَّةِ لدَرَجَةٍ تطلَّبَهُ إجتيازُ الشَّارِعِ حوالي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

خمسة دقائِق، ريثَما إستطاعَ خلالَها الإقتِراب منَ الجهَةِ الأُخرى منَ الطَّريق. فسألَهُ أحدُ الأصدِقاء الذي كانَ يجتازُ الشَّارِع، "كيفَ حالُكَ هذا الصَّباح؟" فأجابَ، أنا على ما يُرام. ولكنَّ المنزِلَ [أي الجَسَد] الذي أعيشُ فيهِ هُوَ في حالَةِ ميؤُوس منها. بالحقيقَة، إنَّهُ خَرِبٌ لدَرَجَةِ أنَّهُ سيتوجَّبُ عليَّ أن أنتَقِلَ منهُ عمَّا قَريب. أمَّا أنا فإنَّني على ما يُرام شَخصيَّاً."

لقد كانَ لهذا الرَّجُل لاهُوتاً صحيحاً. فأن نُمَيِّزَ بينَ الإنسانِ الدَّاخِليّ (أي إنسانُنا الرُّوحي الأبديّ)، وبينَ الإنسانِ الخارِجيّ (أي جسدنا المُؤقَّت)، فإنَّ هذا التَّمييز يعطينا بَصيرَةً ثاقِبَة إلى ما يقصُدُهُ بُولُس عندَما يَنصَحُنا بأن نُؤمِنَ بِقُلُوبِنا إذا أرَدنا أن نَخلُص.

أحدُ هذه الشَّواهِد الكِتابِيَّة عنِ القَلب، يَحُثُّنا على أن "نحفَظَ قَلبَنا بِكُلِّ تحفُّظٍ، لأنَّ مِنهُ مخارِجُ الحياة." (أمثال ٤: ٢٣) إحدَى هذه القَضايا هي قضيَّةُ الإيمان – أي القرار الواعِي بالإعتِراف بفَمنا أنَّ يسُوعَ هُوَ رَبٌّ، لأنَّنا نُؤمِنُ بِقُلُوبِنا أنَّهُ ماتَ ليَدفَعَ ثمنَ خلاصِنا، وقامَ منَ المَوت ليَكُونَ رَبَّنا الحَيَّ المُقام.

بَعدَ إعطاءِ الإنطِباع في الجزء الأخير منَ الإصحاحِ الثَّامِن وعبرَ كامل الإصحاح التَّاسِع، بأنَّ الخلاصَ يَعتَمِدُ كُلِّيَّاً على إختيار الله على أساس سِيادَتِهِ، يُرَكِّزُ بُولُس هُنا على المَسؤُوليَّة التي لَدَينا تجاهَ خلاصِنا. فعَلَينا أن نُؤمِنَ في قُلُوبِنا ونعتَرِفَ بأفواهِنا. بدُونِ هاتَينِ الحقيقَتين الدَّاخِلِيَّة والخارِجيَّة، يُعطي الآن إنطِباعاً بأنَّهُ لن يَكُونَ هُناكَ أيُّ خلاص. ثُمَّ يختُمُ هذه الأعداد بالإقتِباس من النَّبِيّ إشعياء والنَّبِيّ يُوئيل، اللذَينِ كَرَزا أنَّ اللهَ يُخَلِّصُ كُلَّ من يدعُوهُ لِلخَلاص.

علينا أن نتأكَّدَ من المُلاحَظَةِ أنَّهُ علينا أن نعتَرِفَ بأنَّ يسُوعَ هُوَ رَبّ. فالحضارَةُ التي شَكَّلَت التُّربَة التي فيها نمت كنيسَةُ العهدِ الجديد، كانت تحتَ سُلطَةِ الأمبراطُوريَّةِ الرُّومانِيَّةِ السَّاحِقَة. والمُواطِنُونَ الرُّومانِيُّونَ أمثال بُولُس، الذين أرادُوا أن يَكُونُوا على صَوابٍ أو على الأقل على إنسجامٍ معَ هذه الأَمبراطُورِيَّة العالَميَّة، كانَ يُتَوقَّعُ مِنهُم أن يُمارِسُو طقساً مُعَيَّناً مرَّةً في السَّنَة. كانَ عليهم أن يُلقُوا حفنَةً منَ البَخُّور على مذبَحِ النَّار، وأن يُصَرِّحُوا علانِيَةً بالقَول، "قَيصَر رَبّ!." لقد إستُشهِدَ الآلافُ منَ تلاميذ يسُوع الأتقِياء، لأنَّهُم لم يَقبَلُوا بِمُمارَسَةِ هذا الطَّقس. وهكذا أصبَحَت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

صَـرخَةُ المعرَكَـة للكنيسـةِ الأُولـى هاتـانِ الكَلِمتـان، "يسُـوع رَبّ!" (١كُورنثُوس ١٢: ٣).

بينمـا تقـرأُونَ فـي العهـدِ الجديـد، لاحِظُـوا أيضـاً التَّـالِي، أنَّنـا غيـرُ مَدعُوِّينَ للإعتِرافِ بيسُوع كَمُخَلِّص. بل نحنُ مدعُوُّونَ لنعتَرِفَ بيسُوع كَرَبّ. إنَّ جوابَ بُولُس علـى ذلـكَ السَّجَّانِ فـي فيلبِّـي كـانَ، "آمِنْ بـالرَّبِّ يسُـوع المسيح فتخلُص أنَ وأهلُ بيتِكَ." (أعمـال ١٦: ٣٠) فـي الأناجيل الأربَعة، لاحِظُوا كيفَ أعلنَ يسُوعُ أنَّ الخلاصَ قد تحقَّقَ لكُلِّ من إعتَرَفَ أنَّ يسَوع رَبٌّ (لُوقا ١٩: ٨- ١٠؛ يُوحَنَّا ٨: ١١).

خـلالَ قراءَتِكُم لإنجيلِ يُوحَنَّـا، تـأمَّلُوا بِتَصـريحاتِ يسُـوع الواضِـحة بأنَّـهُ كـانَ الله فـي الجَسد. تقَعُ كلمـة "يعتَرِفُ" باللُّغَـةِ اليُونانِيَّـة فـي كَلِمَتَين: كلمة "التَّكَلُّم" أو قَول، وكلمة "المِثل." فالإعتِرافُ يعني "قولُ المِثل." أن تعتَرِفَ بيَسُوع رَبَّاً هُوَ أن تَقُولَ الشَّـيءَ نفسَهُ الذي قالَهُ هُوَ عن نفسِهِ عنـدما كانَ لا يزالُ يعيشُ هُنا في هذا العالم، وأن تَقُولَ الشَّـيءَ نفسَهُ الذي قالَـهُ اللهُ الآبُ عن إبنِهِ في كَلِمَتِهِ.

عنـدما أعطَـى يسُـوعُ المأمُوريَّـةَ العُظمـى، أخبَرَنـا كيـفَ نعتَـرِفُ بأفواهِنـا بمـا نُـؤمِنُ بـهِ فـي قُلُوبِنـا – أن اللهَ أقـامَ إبنَـهُ منَ المَـوت. لقد جعَلَ يسُوعُ منَ المُستَحيلِ علينا أن نَكُونَ تلاميذ ليسُوع سِرَّاً، عندَما جَعَلَ منَ المعمُوديَّةِ جزءاً من مأمُوريَّتِهِ العُظمى. في تلكَ المأمُوريَّة، أوصَـى يسُوعُ تلاميذَهُ أن يعمَلُوا أربَعَةَ أشياء. لقد أمَرَهُم أن يذهَبُوا، أو يصنَعُوا تلاميذ، أن يُعَلِّمُوا هؤُلاء التَّلاميذ، وأن يُعَمِّدُوا جميعَ أُولئكَ الذين يعتَرِفُونَ بِكَونِهِم تلاميذَهُ.

كتـبَ بُـولُس تعريفـاً مُختَصـراً وواضِـحاً للإنجيل الـذي كـرزَ بـهِ فـي كُورنثُوس، عندما ختمَ هذه الرِّسالَة المُوحَاة، لأُولئكَ الذين سبقَ وإختبَرُوا الخـلاص عنـدما كـرزَ لهُم بالإنجيلِ فـي كُورنثُوس. لقد كـانَ هذا الإنجيلُ يتألَّفُ بجوهَرِهِ من حقيقَتينِ عن يسُوع المسيح: مَوتُهُ وقيامَتُـهُ (١كُورنثُوس ١٥: ١- ٤).

في الإصحاحِ السَّادِس من هذه الرِّسالَة، شرحَ بُولُس كيفَ تعتَرِفُ معمُودِيَّتُنا بإيمانِنا بالإنجيل الذي أوصى يسُوعُ المسيحُ تلاميذَهُ أن يكرِزُوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

بهِ. أنا مُقتَنِعٌ أنَّ المَعمُوديَّة هي الطَّريقَة المُحدَّدَة التي أوصانا بها يسُوع، لنَعتَرِفَ خارِجيَّاً بالحقيقَةِ الدَّاخِليَّة أنَّنا نُؤمِنُ بمَوتِ يسُوع من أجلِ خلاصِنا.

عبرَ القُرونِ العِشرين من تاريخِ الكَنيسة، ماتَ الملايينُ منَ المُؤمنينَ لأنَّ يسُوعَ جعلَ المَعمُوديَّةَ جُزءاً لا يتجزَّأُ من مأمُوريَّتِهِ العُظمى. بالطَّبعِ عرفَ يسُوعُ أنَّ المعمُوديَّةَ ستُسَبِّبُ مَوتَ الملايين من خِرافِهِ أو أتباعِهِ. وبما أنَّهُ أظهَرَ هكذا محبَّةً عظيمة للكنيسة بِطُرُقٍ عديدَة، علينا أن نفتَرِضَ أنَّهُ كَونَهُ راعي الكنيسة الصَّالِح، فهُوَ لم يأمُرْ بالمَعمُوديَّة بإستِخفافٍ لجميعِ الذين يعتَرِفُونَ بكَونِهِم تلاميذَهُ.

أنا مُقتَنِعٌ أنَّ معمُوديَّةَ الماء هي الطريقَة التي أوصانا بها يسُوع لنَعتَرِفَ بأفواهِنا بما نُؤمِنُ بهِ في قُلُوبِنا: أنَّ المسيحَ رَبٌّ، وأنَّ اللهَ أقامَ إبنَهُ منَ المَوت لأجلِ خلاصِنا، ولِيَكُونَ رَبَّنا الحَيّ المُقام منَ المَوت.

الفَصلُ الثَّالِث

"شُرَكاءُ معَ الله"

(رُومية ١٠: ١٤- ٢١)

كما أشَرتُ سابِقاً، يختُمُ بُولُس الأفكارَ التي يُقَدِّمُها في الأعدادِ الثَّلاثَة عَشَر الأُولى من هذا الإصحاحِ العاشِر، بإقتِباسَينِ من النَّبِيّ إشَعياء والنَّبِيّ يُوئيل، اللذين وعظا قائِلَينِ أنَّ اللهَ سيَكُونُ مَسرُوراً جدَّاً بأن يُخَلِّصَ جميعَ أُولئكَ الذين يدعُونَ بإسمِهِ للخلاص. وها هُوَ الآنَ يكتُبُ قائِلاً أنَّهُ بإمكانِنا أن نَكُونَ شُركاءَ معَ اللهِ الذي هُوَ مَصدَرُ القُوَّة الكامِنة خلفَ الخلاص، والذي مجدُهُ هُوَ القصدُ المَرجُوُّ من هذه المُعجِزَة العظيمة، بالإتيانِ بالآخرينَ للخَلاص، إذ يكتُبُ قائِلاً: "فكيفَ يَدْعُون بمَن لم يُؤمنوا بهِ؟ وكيفَ يؤمنونَ بمَن لم يَسمعوا به. وكيفَ يَسمعون بلا كارِزٍ. وكيف يَكْرِزون إنْ لم يُرْسَلُوا. كما هو مكتوبٌ ما أجملَ أقدامَ المبشّرينَ بالسلامِ المُبَشّرينَ بالخيراتِ!" (رومية ١٠: ١٤- ١٥)

بَعدَ أن جعلَ بُولُس الأمرَ يبدُو في الإصحاحَين ٨ و٩ وكأنَّ الخلاصَ هُوَ عمَل الله بالكامِل، يكتُبُ الآنَ قائِلاً أنَّ الخلاصَ يعتَمِدُ على تجاوُبِ الإيمانِ الدَّاخِليّ والإعتِراف الخارِجيّ. وهُوَ في قَلبِ هذه الإصحاحات الثَّلاثَة يُقدِّمُ العنايَةَ الإلهيَّة السَّائِدة لإلهٍ سبقَ فعرَفَ وعَيَّنَ ودعا وبَرَّرَ ومجَّدَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

أُولئكَ الذين إختارَهُم للخَلاص. ولكن رُغمَ ذلكَ، في هذا الإطار يكتُبُ أنَّهُ إن يَكِرزْ أحدٌ وإن لم يُرسَلْ أحَدٌ، لن يَكُونَ هُناكَ خلاص.

في الإصحاحِ الثَّامِن، تقديمُهُ الرَّائِع لسيادَةِ اللهِ في الخلاص، وتعليمُهُ عنِ الإختيار في الإصحاحاتِ الثَّامن، التَّاسِع والحادِي عشَر، جعلَت البَعضَ يُسيئُونَ فهمَ هذا المَوضُوع. قَرَّرَ بعضُهُم أنَّهُ بإمكانِنا أن نترُكَ خلاصَنا وكُلَّ قضايا حياتِنا الرُّوحِيَّة كُلِّيّاً في يدي الله. وبما أنَّ اللهَ هُوَ المصدَرُ والقُوَّةُ الكامِنَةُ خلفَ خلاصِنا، فسَوفَ يَصِلُ بنا وبِكُلِّ أُولئكَ الهالِكينَ، سيَصِلُ بنا إلى الخلاص بِدُونِ أيِّ تدخُّلٍ منَّا.

سَمِعتُ مَرَّةً قِصَّةً عن مُزارِعٍ تَقِيّ، عَمِلَ بِجهدٍ على تحويلِ قطعَةِ أرضٍ كانت مَليئَةً بالأشواك إلى مزرَعَةٍ جميلَةٍ مُنتِجة. بَعضُ رِفاقِهِ المُؤمنين أخبَرُوا راعِي كنيستِهِم أنَّهُم يعتَقِدُونَ أنَّ هذا المُزارِع كانَ مُذنِباً بِخَطِيَّةِ الكبرياء. فدعا الرَّاعي المُزارِعَ وقالَ لهُ في الوقتِ المُناسِب، "لقد قُمتَ أنتَ والرَّبُّ بعَمَلٍ رائِعٍ على هذه المزرَعة، أليسَ كذلك؟" فأجابَ المُزارِعُ، "أنا مُتَأكِّدٌ من صِحَّةِ هذا الأمر أيُّها الرَّاعي. فبِدُونِ مُساعَدَةِ الرَّبّ لما قَدِرتُ بتاتاً على تغييرِ حالِ هذه المزرَعَة. ولكن، أيُّها الرَّاعي، كانَ عليكَ أن ترى كيفَ كانت حالُ هذه المَزرَعة عندما كانَ الرَّبُّ يُديرُها بِدُونِي!"

إحدَى أعظَمِ البَرَكاتِ منَ الرَّبّ، تأتي إلى حياتِنا عندما يُقَرِّرُ الرَّبُّ أنَّهُ لن يعمَل عَمَلَهُ بِنَفسِهِ. في أحدِ الحُقُول، أعطى يسُوعُ تلاميذَهُ درساً عظيماً. لقد كان يُعطيهم سِتَّةَ أسبابٍ يتوجَّبُ عليهم لأجلِها أن يَكُونُوا مُثمِرين. مِفتاحُ كَونِ الرِّب يسُوع مُثمِراً هُوَ أنَّهُ كانَ هُوَ والآبُ واحِد. كانَت لَدَيهِ وحدَةٌ وثيقَةٌ لا تنفَصِم معَ الآب طِوالَ الوقت، وتلكَ العلاقَة كانت المِفتاح لإثمارِهِ. لِهذا كانَ يَحُضُّهُم على أن يَكُونُوا واحِداً معَهُ بعدَ قيامَتِهِ.

أظهَرَ يسُوعُ للتَّلاميذ كرمَةً ذاتَ أغصانٍ كثيرَة. ثُمَّ أخبَرَ هؤُلاء الرِّجال أنَّ المِفتاحَ للإثمارِ هُوَ أن يَكُونُوا واحِداً معَهُ، تماماً كما كانت هذه الأغصانُ ثابِتَةً في الكَرمَةِ التي منها كانت الأغصانُ تستَمِدُّ مبدَأَ إعطاءِ الحياة الذي جعلَها مُثمِرَةً. ولقد أعطَى يسُوعُ تصريحَهُ العظيم، "أنا الكَرمَة وأنتُم الأغصان." وحذَّرَهُم أنَّهُم بِدُونِهِ لا يستطيعُونَ أن يفعَلُوا شَيئاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

بِدُونِهِ لا نستطيعُ أن نفعَلَ شَيئاً. ولكنَّني أتَعَجَّبُ عندما أُدرِكُ أنَّ هذه الإستِعارَة تنطَوي أيضاً على تصريحٍ ضِمنِيّ أنَّهُ بِدُونِنا، لن يفعَلَ الرَّبُّ شَيئاً. في هذه الإستِعارَة المجازِيَّة البَسيطَة، نَجِدُ أنَّ الثِّمارَ لا تنبُتُ على الكَرمَة. في هذا الإطار، يسُوعُ هُوَ كَرمَةٌ تبحَثُ عن أغصانٍ تُريدُ أن تتَّحِدَ معَهُ كَونه الكرمة، بطريقَةٍ تجعَلُ من هذه الأغصان مُثمِرَةً. التَّحَدِّي لكَ ولِي هُوَ: "هل سنَكُونُ واحِداً معَهُ وواحِداً منَ الأغصانِ المُثمِرَة؟"

لو كُنتُ أنا مكانَ الرَّبّ، لما جَعَلتُ منَ الكائِناتِ البَشريَّةِ الجسديَّةِ الضَّعيفَة جزءاً من عَمَلِي. ولكنَّهُ شَمَلَنا في عَمَلِهِ العجائِبيّ بجلبِ الهالِكينَ في هذا العالم إلى الخلاص. ألا ينبَغي أن يملأَنا هذا بالشُّكرِ والتَّسبيح. فاللهُ يملأُ حياتنا بالمعاني والقِيَم عندما يجعَلُنا شُرَكاءَهُ في العَمل، فيُنجِزُ عملَهُ من خلالِنا. ويُدخِلُ خالِقُنا أيضاً فرحاً كبيراً إلى حياتِنا عندما يَشمَلُنا في مُعجِزَةِ تحقيقِ الخلاصِ للهالِكينَ الذين نلتَقي بهم في هذا العالم. فالفَرَحُ لا يتساقَطُ منَ السَّماءِ ليَستَقِرَّ على رُؤوسِ بعضِ النَّاسِ دُونَ غيرِهِم. ولكنَّ الفَرحَ، مثلَ السَّلام، لهُ شُرُوطُهُ وأسبابُهُ. لقد أخبَرَ يسُوعُ الرُّسُلَ بأنَّهُ عليهِم أن يَكُونُوا مُثمِرينَ، لكي يثبُتَ فرَحُهُ فيهِم وليَدُومَ فَرَحُهُم (يُوحَنَّا ١٥: ١١). لقد وجدَ رَبُّنا سُرُوراً كبيراً في إتمامِ مشيئَةِ وعَمَلِ أبيهِ السَّماوِيّ (عبرانِيِّين ١٠: ٧). كتبَ بُولُس للغَلاطِيِّين، أنَّنا عندما نعمَلُ العمل الذي يُريدُنا اللهُ أن نعمَلَهُ، نجدُ في عمَلِنا المُثمِر سبباً للفَرَحِ الكبير (غلاطية ٦: ٤، ٥). فكَونُنا شُرَكاءُ معَ اللهِ يُعطينا العَمَلَ ذا المَغزى الذي يمنَحُ حياتَنا معنىً عظيماً.

يُعلِنُ المقطَعُ أعلاهُ أنَّ النَّاسَ الهالِكين، الذي سيَكُونُونَ مُختاري الله، الذين سبق فعَيَّنَهُم ودعاهُم وإختارَهُم اللهُ لِلخلاص، هؤُلاء لا يُمكِنُهُم أن يخلُصُوا، إلى أن تقُومَ الكنيسة بتحمُّلِ أربَعِ مسؤوليَّاتٍ. فالهالِكُونَ لا يستَطيعُونَ أن يدعُوا بإسمِ الرَّبّ الذي لا يُؤمِنُونَ بهِ. ولا يُمكِنُهُم أن يُؤمِنُوا إن لم يسمَعُوا إنجيلَ رَبِّنا يسُوع المسيح. ولا يُمكِنُهُم أن يسمَعُوا بِدُونِ كارِز. والذين يَكرِزُونَ لا يُمكِنُهُم أن يكرِزُوا إن لم يُرسَلُوا لأُولئِكَ الذينَ عليهِم أن يسمَعُوا ويُؤمِنُوا. فهُوَ يَحُضُّ الكنيسة على أن تُدرِكَ لماذا هي كنيسة، عندما يكتُبُ قائِلاً أنَّهُم لا يستَطِيعُونَ أن يكرِزُوا إن لم يُرسَلُوا (مِنَ الكنيسة).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

في الإصحاحَين الثَّامِن والتَّاسِع، يبدُو وكأنَّ اللهَ لديهِ كُلُّ المَسؤوليَّة لجلب الهالِكينَ للخلاص. في الإصحاحِ العاشِر، نأخُذُ إنطباعاً بأنَّ الهالِكِينَ لَدَيهِم كُلّ المسؤوليَّة ليُؤمِنُوا ويعتَرِفُوا بأنَّهم قد يخلُصُون. ثُمَّ لَدَينا هذا المقطَع العَظيم الذي يُقَدِّمُ بإسهابٍ هدَفَ مُهِمَّةِ الكنيسة، ويُعطي الإنطِباعَ الواضِح أنَّ الكنيسة لَدَيها المَسؤوليَّة لتُرسِلَ كارِزينَ ليُعلِنُوا الإنجيلَ للهالِكين، وإلا فإنَّهُم لن يسمَعُوا، ولن يُؤمِنُوا، ولن يدعُوا بإسمِ الرَّبِّ لِيخلُصُوا.

يقتَبِسُ بُولُس من إشعياء ليُبارِكَ مسؤوليَّةَ الكنيسة بالكِرازَةِ وبإرسالِ مُبَشِّرين: "ما أجمَلَ أقدامَ المُبَشِّرينَ بالسَّلام المُبَشِّرينَ بالخَيرات." (إشعياء ٥٢: ٧) هذه إستِعارَةٌ جميلة، تُصَرِّحُ بأنَّ اللهَ يُعطِي قيمَةً كُبرَى لأُولئكَ المُرسَلينَ لإعلانِ الإنجيل للذين يُريدُونَ أن يسمَعُوا. علينا أيضاً أن نُعطِي قيمَةً كُبرى للمَسِيَّا الذي أُرسِلَ لنا، لكي نسمَعَ ونُؤمِنَ بأخبارِ الخلاص السَّارَّة.

هُنا تجدرُ الإشارَةُ إلى مُلاحَظَتَين. كلِمَة "واعِظ أو كارِز" قد تَكُونُ مُربِكَةً، إذا جَعَلْتنا نعتَقِدُ أنَّ المقصُودَ منها هُوَ الواعِظُ الذي يتكلَّمُ من على مِنبَرِ الكنيسة. الكَلِمةُ تتَضَمَّنُ هذا المَعنَى بالطَّبع، ولكنَّ المقصُودَ منها هُوَ معنى أوسَع. الكلمة اليُونانِيَّة تعني بالحقيقة، "القِيامُ بإعلان." علينا أن لا نَحُدَّ هذا الشَّخص الذي يَصِفُهُ بُولُس ليَكُونَ حَصرِيَّاً راعِي كنيسة أو مُبَشِّر أو مُرسَل من كَنيسة.

نقرأُ أنَّ الجيلَ الأوَّلَ من تلاميذِ يسُوع أعلَنُوا الإنجيل لأفرادِ عائِلاتِهِم. وفعلُوا الشَّيءَ نفسَهُ في صداقَاتِهِم، ومعَ كُلِّ الذين إلتَقَوا بِهِم في مرَاكِزِ عملِهِم أو في حياتِهِم بِشَكلٍ عام. بالإضافَةِ إلى أُولئِكَ الذين أُرسِلُوا مثل بُولُس، وبالإضافَةِ إلى الوُعَّاظ والمُبَشِّرين المَوهُوبِين، ينبَغي أن نتذَكَّرَ إنتشار الإنجيل من خلالِ من نُسَمِّيهِم "بالعِلمانِيِّين"، في حديثِنا عن هَؤلاء الكارِزين.

كتبَ بُولُس يَقُولُ للكُورنثِيِّين أنَّ جميعَ الذين إختَبَرُوا مُعجِزَةَ المُصالَحَة معَ الله من خلالِ المسيح، قد إستُودِعُوا مُباشَرَةً رسالَةَ وخدمَةَ مُصالَحة (٢كُورنثُوس ٥: ١٣- ٦: ٢). عندما يَظُنُّ المُؤمِنُونَ المُصالَحُونَ في كنيسَةٍ ما أنَّ اللهَ أعطى مسؤُوليَّةَ إعلانِ الإنجيل فقط لراعي الكنيسة أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الواعِظ أو المُرسَل، تتحوَّلُ الكنيسَةُ إلى "عملاقٍ نائم." إحدَى الحقائِق التي يُمكِنُ أن تُوقِظَ هذا "العملاق النَّائم" هي أنَّنا جميعاً مُفَوَّضُونَ لإعلانِ الإنجيل للهالِكين. في هذا المعنى، نحتاجُ أن نُدرِكَ أنَّنا إمَّا أن نَكُونَ مُرسَلين أو هَدَفاً للمُرسَلين.

يُعطِي اللهُ قِيمَةً كبيرَةً لأُولئكَ الذين يحمِلُونَ الإنجيل للهالِكين. فكِّرُوا بهذا بالطَّريقَةِ التَّالِيَة. اللهُ كانَ عندَهُ إبنٌ وحيدٌ، وكانَ هذا الإبنُ الوَحيدُ مُرسَلاً. فهَل تُعطُونَ قيمَةً كبيرَةً للشَّخصِ أوِ الأشخاص الذين أَعلَنُوا الإنجيلَ لكُم لكي تسمَعُوا، وتُؤمِنُوا، وتدعُوا بإسمِ الرَّبّ وتخلُصُوا؟ هذا الشَّخصُ أو هؤُلاء الأشخاص هم الأكثَر أهَمِّيَّةً بينَ الذين إلتَقيتُمُوهُم في حياتِكُم، وعَلَيكُم تكريمُهُم. هُناكَ مثلٌ يقُولُ أنَّ تربيَةَ الطِّفلِ تتطلَّبُ قريَةً بأسرِها. بهذا المعنى، يتطلَّبُ الأمرُ كنيسَةً بأسرِها لإعلانِ الإنجيل وتقديمِهِ للهالِكين. إنَّ الشَّهادَةَ التَّعاوُنِيَّة التي تُقدِّمُها كنيسَةٌ بكامِلِها، غالِباً ما أوصَلت حقيقَةَ الإنجيل إلى حياةِ الهالِكين.

مُلاحَظَتي الثَّانِيَة حِيالَ هذه الأعداد عن جَمَالِ أقدامِ أُولئكَ الذين يُبَشِّرُونَ بالإنجيل، تُثيرُ السُّؤالَ التَّالي: "من هُوَ بالحقيقة الذي يُرسِلُ هؤُلاء المُبَشِّرين ليُعلِنُوا الإنجيل للهالِكينَ في هذا العالم؟" رُغمَ أنَّهُ يبدُو ظاهِرِيَّاً أنَّ الكنيسة هي التي تُرسِلُ هؤُلاء الكارزين، ولكنَّ القُوَّةَ الكامِنَةَ وراءَ هذا الإرسال هي المسيحُ الحَيُّ المُقَام. لقد علَّمَ يسُوعُ رُسُلَهُ أن يُصَلُّوا لِرَبِّ الحصاد أن يُرسِلَ فعلَةً إلى حصادِهِ. (مرقُس ٩: ٣٨؛ لُوقا ١٠: ٢).

علينا أن نُدرِكَ أنَّهُ لا يَستَطيعُ أيُّ إنسانٍ أن يأتِيَ إلى المسيح، إن لم يجتَذِبْهُ الآبُ (يُوحَنَّا ٦: ٤٤). أحياناً يتساءَلُ النَّاسُ، "ماذا لو لم أكُنْ مُختاراً حتَّى وإن أردتُ أن أخلُص؟" الجوابُ على هذا السُّؤال هُوَ أنَّهُ إن لم يَكُنْ هذا الإنسانُ مُختاراً وإن لم يجتَذِبْهُ الرُّوحُ القُدُس، فهُوَ لن يشعُرَ بالرَّغبَةِ بالخَلاص.

علَينا أيضاً أن نُدرِكَ أنَّهُ عندما يُرسَلُ أشخاصٌ مثل بُولُس وبرنابا بِواسِطَةِ كنيسَةٍ محَلِّيَّة، فإنَّ هذا يحدُثُ لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ قادَ النَّاسَ في الكنيسة، وتحرَّكَ في قُلُوبِ الذين سيُرسَلُونَ ليتجاوَبُوا معَ الدَّعوَةِ للإنفِرازِ لتلكَ الخدمة (أعمال ١٣: ٢). كتبَ بُولُس لكَنيسَةِ فِيلبِّي أنَّ اللهَ هُوَ العامِلُ فينا لنُريدَ ونعمَلَ من أجلِ مسَرَّتِهِ (فيلبِّي ١: ٦؛ ٢: ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

فاللهُ يعرِفُ مُسبَقاً، يُعَيِّنُ مُسبَقاً، يدعُو، يُبَرِّرُ ويُمَجِّدُ مُختاريه، ولكنْ عليهِم أن يُؤمِنُوا في قُلُوبِهِم ويعتَرِفُوا بأفواهِهِم ليَخلُصُوا. اللهُ يختارُ ويدعُو أُولئِكَ الذين سيُعلِنُونَ الإنجيلَ للهالِكين، ولكنَّهُ يختارُ أيضاً أُناساً، وإلا فلن يَكُونَ لهُم خلاص. ولكن، أُولئكَ المَدعُوُّونَ ليحمِلُوا الأخبارَ السَّارَّةَ للهالكين، عليهِم أن يتجاوَبُوا ويُطيعُوا دَعوَةَ اللهِ في حياتِهِم، وأن يُصبِحُوا شُركاءَ الله – أي أغصاناً تحمِلُ ثماراً – لأُولئكَ الذين سيخلُصُون.

مُجَدَّداً، لا يَسَعُنا إلا أن نطرَحَ السُّؤال، "هل اللهُ يَقُومُ بإتِّخاذِ خياراتٍ هُنا، أم أنَّنا نختارُ الإمتيازاتِ العَظيمة بأن نَكُونَ عامِلِينَ معَ اللهِ في جَلبِ الخلاص للهالِكين في هذا العالم؟" الجوابُ لا ينسَجِمُ معَ مَنطِقِنا بِسُهُولَة، ولكنَّ الجوابَ ينبَغي أن يَكُونَ أنَّ القَضِيَّة ليسَت إمَّا هذا أو ذاك، بل الإثنانِ معاً. فإلهُنا صاحِبُ السِّيادَةِ، والمسيحُ الحَيُّ المُقام، هُما اللَّذانِ يَقومانِ بهذه الخيارات، ولكن علينا أن نختارَ بأن نَكُونَ مُختارين. فنَحنُ نختارُ أن نثبُتَ فيهِ كما يثبُتُ الغُصنُ في الكَرمَة أي في المسيح، وهذا ما يجعَلُنا مُثمِرين (يُوحنَّا ١٥).

سِرُّ الإيمان وعَدم الإيمان

في عِدَّةِ مُدُنٍ كبيرَة، العمَلُ البَسيطُ بإدارَةِ مفتاحِ الضَّوء لملءِ غُرفَةٍ ما بالنُّور، يتطلَّبُ مصدراً للطَّاقَةِ لا يُمكِنُ رُؤيَتُهُ. فليسَ بإمكانِنا أن نرى الكهرباء أو الكيلومترات الطَّويلَة منَ الأشرطة والكابلات تحتَ الأرض، تلكَ التي أَتَتْ بالكَهرباء إلى منطَقَةٍ شاسِعَةٍ تنتَشِرُ فيها منازِلُنا. ونحنُ لا نَنتَبِهُ للمُوَلِّداتِ والمُحَوِّلاتِ الضَّخمَة، وفي بعضِ الحالاتِ لا ننتَبِهُ للسُّدُودِ الكبيرة التي تُولِّدُ الكهرباءَ منَ الماء، لتُوفِّرَ الكهرباء للمدُنِ والأحياء والشَّوارِعِ والمنازِل التي نعيشُ فيها، ونُضيءُ فيها النُّورَ بكبسَةٍ صغيرَة.

بالطَّريقَةِ نفسِها، يُظهِرُ بُولُس في هذه الإصحاحات عمَلَ الرُّوح القُدُس غير المَنظُور، وسيادَة العنايَة الإلهيَّة، التي لا يُمكِنُنا كذلكَ رُؤيتها. نحنُ لا نستَطيعُ رُؤيَةَ الكهرباء بتاتاً، ولكن بإمكانِنا أن نرى نتائجَ أو مفاعِيلَ الكهرباء عندما نُضيءُ الضَّوءَ في غُرفَتِنا. وكذلكَ، ليسَ بإمكانِنا أن نرى الرُّوحَ القُدُس، ولكنَّنا نستَطيعُ أن نرى بُرهانَ عَمَلِ الرُّوحِ القُدُس في كُلِّ مَرَّةٍ يسمَعُ فيها الخاطِئُ الإنجيلَ، فيُؤمِنُ ويعتَرِفُ ويخلُص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

يُخبِرُنا كُلٌّ من يسُوع وبُولُس أنَّهُ عندما تُعلَنُ الأخبارُ السَّارَّة للهالكين، بعضُ النَّاسِ يُؤمنُون، ولكنَّ مُعظَمَهُم لا يُؤمِنُون. لِماذا نَجِدُ دائماً هذا التَّجاوُب المُتَناقِض معَ الإنجيل؟ هل لأنَّ أُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ ليسُوا بمِقدارِ ذكاءِ الذين لا يُؤمِنُون؟ أم لأنَّ أُولئِكَ الذين يُؤمِنُونَ هُم أكثَرُ ذكاءً من أُولئِكَ الذين يرفُضُونَ أن يُؤمِنُوا؟

جَوابُ بُولُس على هذا السُّؤال هُوَ أنَّ الذَّكاءَ ليسَ التَّفسيرَ لطريقَةِ تجاوُبِ النَّاسِ معَ الإنجيل. يُخبِرُنا يسُوعُ وبُولُس أنَّ أُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ يتجاوَبُونَ بهذه الطريقة لأنَّهُم مُنِحُوا عَطِيَّةَ الإيمان (متَّى ١٣: ١١؛ ١٩: ١١؛ فيلبِّي ١: ٢٩؛ ١كُورنثُوس ٢: ٩- ١١)

بِحَسَبِ النَّبِيِّ إشَعياء، هذا التَّجاوُبُ المُتناقِضُ بينَ الإيمانِ أو عَدَمِهِ عندما يُعلَنُ الإنجيلُ، ليسَ شَيئاً حدَثَ فقط في زَمَنِ العهدِ الجديد منَ التَّاريخِ العِبريّ. فلقد أبرَزَ إشَعياءُ نَبَوِيَّاً مجيءَ المَسيَّا، مُعطِياً إيَّانا نُبُوَّاتٍ مَسيَاوِيَّةً أكثَرَ من أيِّ نَبِيٍّ آخر في العهدِ القَديم. أكثَر من سبعمائة سنَة قبلَ أن يحدُثَ هذا الأمر، أعطانا إشَعياءُ أحدَ أعظَمِ إصحاحاتِ الكتابِ المُقدَّس وأوضَحِها عن معنى موتِ المسيحِ على الصَّليب (إشَعياء ٥٣).

الأعدادُ السِّتَّةُ الأُولى من هذا الإصحاح هي ستَّةٌ من أهمِّ وأبلَغِ أعدادِ الكتابِ المُقدَّس رُوحيَّاً حولَ معنى موتِ المسيح على الصَّليب: "مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنا ولِمَنِ إستُعلِنَت ذِراعُ الرَّبّ. نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرخٍ وكَعِرقٍ من أرضٍ يابِسَةٍ لا صُورَةَ لهُ ولا جَمالَ فنَنظُرَ إليهِ فَنَشتَهِيَهُ. مُحتَقَرٌ ومخذُولٌ منَ النَّاسِ رَجُلُ أوجاعٍ ومُختَبِرُ الحَزَن، وكَمُستَّرٍ عنهُ وُجُوهُنا، مُحتَقَرٌ فلم نعتَدَّ بهِ.

"لكنَّ أحزانَنا حمَلَها وأوجاعَنا تَحَمَّلَها، ونحنُ حَسِبناهُ مُصاباً مَضرُوباً منَ اللهِ ومَذلُولاً. وهُوَ مجرُوحٌ لأجلِ معاصِينا، مَسحُوقٌ لأجلِ آثامِنا، تأديبُ سلامِنا عليهِ، وبِحُبُرِهِ شُفينا. كُلُّنا كَغَنمٍ ضَلَلنا، مِلنا كُلُّ واحِدٍ إلى طريقِهِ، والرَّبُّ وضعَ عليهِ إثمَ جميعِنا." (إشَعياء ٥٣: ١- ٦).

يَحُثُّنا بُولُس لنُلاحِظَ الطريقَة التي بدأَ بها إشعياءُ تلكَ النُّبُوَّة المَسياوِيَّة المُوحاة: "لكنْ ليسَ الجميعُ قد أَطاعوا الإنجيلَ. لأنَّ أشعياءَ يقولُ يا ربُّ مَن صَدَّقَ خَبَرَنا. إذاً الإيمانُ بالخَبَرِ والخبرُ بكلمةِ اللهِ". (رُومية ١٠: ١٦- ١٧)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

بِحَسَبِ بُولُس، كما بدأَ إشَعياءُ وصفَهُ النَّبَوِيِّ الرَّائِع لمَوتِ المسيح، ركَّزَ هُوَ إنتِباهَنا على هذا السِّرّ للإيمانِ وعدَمِ الإيمان، بطرحِ ذلكَ السُّؤال. وبِحَسَبِ إشَعياء، الأمرُ المِفتاحِيُّ الذي يَفصِلُ بينَ المُخَلَّصِينَ وبينَ الهالِكين في هذا العالم، هو يسُوع المسيح. فلقد بدأَ إشَعياءُ هذا الإصحاح العَظيم بقَولِ ما جَوهَرُ معناهُ، "لديَّ أعظَمُ نُبُوَّةٍ لأُخبِرَكُم بها، والتي لم يسبِقْ لأيِّ نَبيٍّ آخر أن يُعلِنَها، ولكن من هُوَ الذي سيُؤمِنُ بها يا تُرَى؟"

يُضيفُ بُولُس بعدَ هذا تصريحاً عميقاً يُظهِرُ كيفَ يستَخدِمُ الرُّوحُ القُدُسُ كلمَةَ اللهِ خلالَ جَذبِهِ النَّاس للإيمانِ وللمَسيح. يكتُبُ بُولُس الرَّسُول قائِلاً أنَّ الإيمانَ يأتي بِسماعِ كلمَةِ الله. يذكُرُ العددُ حَرفِيَّاً أنَّ الإيمانَ يأتي من سماعِ رسالَةِ المسيح.

هُنا ينضَمُّ بُطرُس لبُولُس مُعَلِّماً الحقيقَةَ نفسَها. فبالنِّسبَةِ لبُطرُس، كلمَةُ اللهِ هي بِذارٌ لا يفنَى، الذي يُوَلِّدُ حياةً رُوحيَّةً في أُولئِكَ الذينَ يتجاوَبُونَ بِطريقَةٍ صحيحَةٍ معَ تلكَ الكلمة، عندما يسمَعُونَها أو يقرَأُونَها (١بُطرُس ١: ٢٢، ٢٣).

يُعَلِّمُ بُطرُس هذه الحقيقَةَ نفسَها مرَّةً ثانِيَة، مُستَخدِماً إستِعارَةً أُخرى جميلَة، عندما يَحُضُّ قُرَّاءَهُ على الإقتِرابِ من كَلِمَةِ الله، وكأنَّها نُورٌ في مَوضِعٍ مُظلِم. بالنِّسبَةِ لبُطرُس، بينَما يقتَرِبُونَ من هذا النُّور، سوفَ يختَبِرُونَ مُعجِزَتَين: ينفَجِرُ النَّهارَ ويطلَعُ كَوكَبُ الصُّبحِ في قُلُوبِهم (٢بُطرُس ١: ١٩).

هذا التَّصريح لبُولُس، وهاتانِ الإستِعارتانِ المُستَخدَمتانِ من قِبَلِ بُطرُس اللتانِ تتوازَيانِ معَ هذا التَّصريح لبُولُس، تُشَكِّلُ هدَفَ إرسالِيَّةِ بُولُس، وتُوفِّرُ تعريفاً لِفَلسَفَتِي في الخدمة منذُ العام ١٩٤٩. لقد أخبَرَنا إشعياءُ في نُبُوَّتِهِ أنَّهُ كرزَ بكَلِمَةِ الله، لأنَّ كَلِمَةَ اللهِ أوصَلت أفكارَ وطُرُقَ اللهِ والإنسان إلى الإنسجام (إشعياء ٥٥: ٨- ١١). لقد إكتَشَفتُ أنَّنا عندما نُدخِلُ النَّاسَ إلى كَلِمَةِ اللهِ ونُدخِلُ كلَمَةَ اللهِ إلى حياةِ النَّاس، عندها يأتي الإيمانُ، ويُولَدُ هؤُلاء من جديد. تلكَ الولادَةُ الجديد مَوصُوفَةٌ بِشَكلٍ جَميلٍ في إستِعارَتَي بُطرُس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

مَزيدٌ منَ الاسئِلَة والأجوبَة

يختُمُ بُولُس هذا الإصحاحَ العاشِر مَرَّةً أُخرى بإستِباقِ أسئِلَةٍ يتوقَّعُها من قُرَّائِهِ. عندما يُرَكِّزُ على الأهمِّيَّة المَصيريَّة لِسَماعِ الكلمة التي من خلالِها يأتي الإيمان، بإمكانِ الرَّسُولِ أن يتصوَّرَ قُرَّاءَهُ وهُم يسأَلُونَهُ، "حسناً، وماذا عن الذين لم يسمَعُوا رِسالَةَ الإنجيل؟" بعدَ أن قُمتُ بِمُشارَكَةِ الإنجيل معَ الكثيرِ من طُلاَّبِ الجامعاتِ في إطارِ جامِعَةٍ عِلمانِيَّة، سَمِعتُ طُلاباً يطرَحُونَ هذا السُّؤال مُباشَرَةً عندما كانُوا يسمَعُونَ الإنجيل لأوَّلِ مرَّة: "ماذا عن جميعِ أُولئكَ الذين لم يسمَعُوا الإنجيلَ بتاتاً؟"

يطرَحُ بُولُس السُّؤال ومن ثَمَّ يُجيبُ عليهِ: "لَكِنِّي أقُولُ أَلَعَلَّهُم لم يسمَعُوا؟ بَلَى. إلى جَميعِ الأرضِ خرجَ صَوتُهُم، وإلى أقاصِي المسكُونَةِ أقوالُهُم. لَكِنِّي أقُولُ أَلَعَلَّ إسرائيلَ لم يَعلَمْ. أَوَّلاً مُوسى يَقولُ أنا أُغيرُكُم بما لَيسَ أُمَّة. بأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُكُم. ثُمَّ إشَعياء يتجاسَرُ ويَقُولُ وُجِدتُ منَ الذين لم يَطلُبُوني، وصِرتُ ظاهِراً لِلَّذينَ لم يَسأَلُوا عَنِّي. أمَّا من جِهَةِ إسرائيل فيَقُولُ طُولَ النَّهارِ بَسَطتُ يَدَيَّ إلى شَعبٍ مُعانِدٍ ومُقاوِم." (رُومية ١٠: ١٨- ٢١؛ مزمُور ١٩: ١- ٤؛ تثنِيَة ٣٢: ٢١؛ إشَعياء ٦٥: ١)

يقتَبِسُ بُولُس من داوُد، مُوسى، وإشعياء في جوابِهِ على هذا السُّؤال. يُعَلِّمُ داوُد بما يُسمِّيهِ اللاهُوتِيُّون "الإعلان الطَّبيعيّ"، عندما يكتُبُ أنَّ السماواتِ تُحَدِّثُ بِمَجدِ الله، والفَلَكُ يُخبِرُ بِعَمَلِ يديهِ، وأنَّهُ لا يُوجَدُ مكانٌ على الأرض لم يسمَعْ بإعلانِها.

خلالَ أسفارِي لزيارَةِ المُرسَلين في بَعضِ المناطِق النَّائِيَة منَ الأرض، حقَّقتُ إكتشافاً. عندما يَقُومُ البَعضُ منَّا، منَ الذين يعيشُونَ في المُدُنِ الكَبيرَة، بِزِيارَةِ أماكِن في الأدغال، حيثُ لا إنارَة مَدينة، نُصبِحُ أكثَرَ إدراكاً لِوُجُودِ النُّجُوم ولهذا الكَون المُدهِش الذي نعيشُ فيه. ولَرُبَّما قضَى داوُد كراعي غَنَمٍ شابّ، الكثيرَ منَ الليالي مُستَلقِياً على ظَهرِهِ، مُحدِّقاً بِنُجُومِ السَّماء. فأَوحَى لهُ الرُّوحُ القُدُس بأن يكتُبَ المَزمُور التَّاسِع عشر، بأنَّ السَّماواتِ والفَلَك يُخبِرَانِ بمجدِ الرَّبّ. ولا تُوجَدُ ليلَةٌ واحِدَةٌ حيثُ لا تكرِزُ السَّماواتُ والفَلَكُ بهذه العِظة. بِحَسَبِ داوُد، حتَّى ولو لم يَكُنْ يُوجَدُ ولا أيُّ صَوت، ولكن لا يُوجَدُ مكانٌ واحِدٌ في العالم لا يُكرَزُ فيهِ بهذه العِظَة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

في الإصحاحِ الأوَّلِ من هذه الرِّسالَة، يُعلِنُ بُولُس أنَّهُ بسببِ الرِّسالَة التي تمَّ إيصالُها من خلالِ مُعجِزَة الخَلق، لذلكَ فالهالِكُونَ هُم بِلا عُذر (رُومية ١: ٢٠). ولكن هل بإمكانِ الهالكينَ أن يعرِفُوا ما يكفي من خلالِ الإعلانِ الطَّبيعي لِيَتَبَرَّرُوا بالإيمان؟ الجوابُ الواضِحُ على هذا السُّؤال هُوَ "كلا."

يُعَلِّمُ الكتابُ المُقدَّسُ أنَّهُ إذا أدركَ الخاطِئُ الهالِك الذي يبحَثُ عنِ الحَق، من خلالِ الخليقَة أنَّهُ يُوجَدُ خالِقٌ، فإذا طَلَبَ هذا الخالِقَ تجاوُباً معَ النُّورِ الذي نالَهُ من خلالِ الخليقَة، فإنَّ اللهَ سيُعطيهِ المزيدَ منَ النُّور. هذا مبدأٌ هامٌّ جدَّاً في كَلِمَةِ الله (فيلبِّي ٣: ١٦؛ يُوحَنَّا ٩: ٤٠، ٤١؛ ١٥: ٢٢). يُخبِرُنا المُرسَلُونَ أنَّهُم عندَما أوصَلوا الإنجيلَ إلى شُعُوبٍ في مناطِقَ بدائِيَّة نائِيَة منَ العالم، كانت هذه الشُّعُوب تُخبِرُهُم بأنَّهُم كانُوا ينتَظِرُونَ ويتوقَّعُونَ أن يأتِيَ أحدٌ ما ويُخبِرهم عن اللهِ الذي كانُوا يطلُبُونَهُ منذُ سنواتٍ طَويلَة.

لَدَيَّ إختبارٌ شَخصِيٌّ أكَّدَ لي هذه الحقيقة. فبينما كُنتُ كراعي كنيسة أُعلِّمُ درسَ كتابٍ مُقَدَّس تبشيريّ، سألَتني إمرأةٌ يابانيَّة ووجهُها يَشُعُّ بالنُّور، إن كانَ بإمكانِها أن تلتَقي بي بعدَ الإجتماع. وعندها أخبَرتني أنَّها بينما كانت تختَبِئُ في ملاجِئِ طُوكيو خلالَ الأشهُرِ الخِتامِيَّة من الحربِ العالميَّةِ الثَّانِيَة، صَلَّت للهِ الذي كُنتُ أُقَدِّمُهُ لَهُم في دراسَةِ الكتابِ المُقدَّسِ تلك. لقد كانت بُوذِيَّةً، ولكنَّها عرَفَت في قَلبِها أنَّهُ يُوجَدُ إلهٌ حَقيقيٌّ قادِرٌ أن يُخَلِّصَها إذا صَلَّت لهُ.

لقد وضَعَت إيمانَها بيسُوع المسيح، فإنفجَرَ النَّهار وطلَعَ كَوكَبُ الصُّبحِ في قَلبِها. وهكذا أصبَحَتْ تلميذاً ليسُوع المسيح، والنُّورُ يَشُعُّ من وَجهِها! ففي ملجَأِ القنابِلِ ذاك، تجاوَبَت معَ اللهِ الذي أعطاها النُّور – ولقد أعطاه المَزيد منَ النُّور، فغادَرت المكان تلكَ الليلَة وهِيَ تَقُولُ، "الرَّبُّ نُورِي وخلاصِي." (مَزمُور ٢٧: ١)

ثُمَّ يقتَبِسُ بُولُس عدداً عميقاً من سِفرِ التَّثنِيَة، حيثُ يُعطي مُوس النُّبُوَّةَ التي ستُصبِحُ مَوضُوعَ ما تبقَّى من هذا الإصحاح، وكامل الإصحاح الحادِي عشَر من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة. يتنبَّأُ مُوسى أنَّ اللهَ سيُثيرُ غَيرَةَ إسرائيل بإختِيارِ أُمَمٍ غير رُوحِيِّين للخلاص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

أشارَ يسُوعُ إلى الأُمَمِ "بالكِلاب"، الأمرُ الذي كانَ يُقصَدُ بهِ أنَّ الأُمَمِي عابِدَ الأوثانِ كانَ تمييزُهُ الرُّوحِيُّ لا يتعدَّى مُستَوى التَّمييز الرُّوحِي لدى الكلاب. فلا بُدَّ أنَّ غيرَة اليَهُودِ ستُثارُ إذا تحوَّلَ اللهُ عنهُم وإختارَ "كِلاباً" ليَكُونُوا شعبَهُ المُختار. يُتابِعُ بُولُس واحدةً من أروَعِ نُبُوَّاتِ الكتابِ المُقدَّس، عندما يُشَدِّدُ على نُبُوَّةِ مُوسى أنَّ اللهَ سيُثيرُ غيرَةَ اليَهُودِ بتخليصِ الأُمَم. ومُوسى أيضاً تنبَّأَ أنَّ اللهَ سيُثيرُ غضَبَ إسرائيل بإختيارِ شعبٍ جاهِلٍ، أو شَعبٍ بِدُونِ فهمٍ، للخَلاص.

هل لاحَظتُم الذَّكاءَ والمَواهِبَ الخارِقَة لدى اليَهُود؟ لاحِظُوا كم من مَشاهير العُلماء، ورابِحي جائِزة نُوبل، والبَحَّاثَة الذَّائِعي الصِّيت، والمُوسيقارِيِّين ومُؤَلِّفي المَعزُوفات الرَّائعة، يتحدَّرُونَ من أصلٍ يَهُودِيّ. فيا لِلسُّخرِيَة أن يختارَ اللهُ شَعباً أقلَّ مواهِبِيَّةً وأقلَّ ذكاءً منَ اليَهُود، ليَكُونُوا شعبَهُ المُختار الجديد. يُؤَكِّدُ بُولُس أنَّ الأُمَمَ الذين إختَارَهُم اللهُ ليسُوا مُختارين لأنَّهُم شُرفاء أو أقوياء أو أذكِياء (١كُورنثُوس ١: ٢٦- ٢٩).

نُبُوَّةُ مُوسى يتبَعُها نُبُوَّتانِ لإشَعياء، تُضيفانِ على ما قالَهُ مُوسى، بأنَّ اللهَ سيُثيرُ غَيرَةَ اليَهُودِ بإختيارِ شَعبٍ لا يَطلُبُهُ البَتَّة. لقد سبق واعتَرَفَ بُولُس بأنَّ اليَهُودَ لديهِم غَيرَةٌ لله، ولكنَّ غيرَتَهُم ليسَت حسبَ المعرِفَة، لأنَّهُم يطلُبُونَ اللهَ بالنَّظَرِ إلى الدَّاخِل، وبكَونِهِم مُعتَمِدينَ على بِرِّهِم الذَّاتِي. اليَهُودُ الذين كانُوا مثل شاوُل الطَّرسُوسِيّ، قبلَ أن إلتَقُوا بالمسيح، كانُوا مُلتَزِمينَ بشدَّةٍ وتعصُّبٍ بذلكَ البِرِّ الذَّاتي كطَريقَةٍ للإقتِرابِ منَ الله.

ولأكثَرِ من خمسَةِ عُقُودٍ، إندَهَشتُ بسماعِ قصَص عنِ الله، أو شهادات مُؤمنين منَ الذي إلتَقيتُهم كراعي كنيسة. بمعنىً ما، لا يُمكِنُ أن نَجِدَ قِصَّتَين مُتَطابِقَتَين من هذه القِصَص عن كيفَ وجدَ المُؤمنُونَ الله، أو كيفَ وجدَهُم اللهُ. هُناكَ نَمُوذَجٌ لاحَظْتُهُ في كُلِّ هذه القِصَص، وهُوَ ما أُسَمِّيهِ "التَّدخُّل الكَبير." هذا التَّدخُّل يُقدَّمُ بطريقَةٍ جميلَةٍ في إستِعارَةٍ يذكُرُها داوُد عندما يُخبِرُنا في مزمُورِ الرَّاعي كيفَ أصبَحَ الرَّبُّ راعِيَهُ. فقالَ: "يُرِبضُني."

بينما كُنتُ أُصغِي للنَّاسِ وهُم يُخبِرُونَني كيفَ جاؤُوا إلى الإيمان باللهِ وبالمسيح، أتعجَّبُ كم منهُم لم يَكُونُوا يطلُبُونَ اللهَ بتاتاً. بل كانَ اللهُ يطلُبُهم ويبحَثُ عنهُم. فجعَلَهُم يربُضُون بِضَربِهِم على رُؤوسِهِم بعصا الرَّاعي،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الذي ظهَرَ غالِباً بِمظهَرِ مُشكِلَةٍ لا يستَطيعُونَ حَلَّها. ولاحقاً نظَرُوا إلى هذه المُشكِلَة على أنَّها التَّدخُّل المُحِبّ من قِبَلِ راعيهم الله، فشَكَرُوهُ على هذه المُشكِلَة. ويُتابِعُ ليُؤَثِّرَ على هذه التَّدَخُّلات في نُقاطِ تحوُّلٍ مِفصَلِيَّة في رحلاتِ إيمانِهم. منَ الواضِحِ أنَّ المُبادَرَةَ تأتي منَ اللهِ وليسَ من سَعيِهِم وراءَ الله.

قالَ أحَدُهُم، "الدِّيانَةُ هي سَعيُ الإنسانِ وراءَ الله، ولكنَ الكتابَ المُقدَّس يُقدِّمُ اللهَ وهُوَ يسعَى وراءَ الإنسان." يتنبَّأُ بُولُس، مُقتَبِساً من إشعياء، بحدَثٍ غيرِ إعتِيادِيّ، الذي نراهُ اليَومَ في حياتِنا وفي رِحلاتِ الأخرين الإيمانِيَّة. على خِلافِ اليَهُود، الذين كانَت لديهم غيرَة مُمَيَّزَة لله، النَّاسُ الذين لا يسعُونَ وراءَ اللهِ بتاتاً، هَؤُلاء يَجِدُهُم اللهُ، لأنَّهُ يسَعَى هُوَ وراءَهُم. كُلٌّ من مُوسى، إشعياء وبُولُس يُضيفُونَ على هذه الحقيقَة المُدهِشَة عنِ الحياةِ الرُّوحيَّة، التَّعليمَ أنَّ اللهَ سيعمَلُ هذا للأُمَم ليدفعَ اليَهُود للتَّوبَةِ الرُّوحِيَّة.

الفَصلُ الرَّابِع
"لُغز إسرائيل"
(رُومية ١١: ١- ٣٦)

عندَما كانَ أحدُ مشاهِيرِ مُفَسِّري الكتابِ المُقدَّس سيتكلَّمُ لأُسبُوعٍ كامِلٍ في الكنيسةِ التي كُنتُ أرعاها، سألتُهُ ما إذا كانَ يُوجَدُ أيُّ شَيءٍ يُساعِدُهُ على الإستِراحَةِ والإسترخاء خلالَ زيارَتِهِ معنا. فتعجَّبتُ عندما سألَني ما إذا كُنتُ أستَطيعُ أن أُعطِيَهُ بعضَ قصص الألغاز السِّريَّة، لأنَّهَا كانت الكُتُبَ المُحَبَّبَة عندَهُ ليَقرَأَها.

الملايينُ منَ النَّاسِ يُحِبُّونَ أن يقرَأُوا قِصصَ الألغاز، لأنَّ "اللُّغزَ هُوَ سِرٌّ مُعلَنٌ نَوعاً ما." أُولئكَ الذين يُحِبُّونَ أن يقرَأُوا لمشاهيرِ كُتَّابِ الألغاز، يتمتَّعُونَ بمُحاوَلَةِ إستِباقِ معرِفَةِ ما هُوَ اللُّغز، أو السِّر الذي سيُعلَنُ بطريقَةٍ أو بِأُخرى. في الكتابِ المُقدَّس، كلمة "لغز"، بالإضافَةِ إلى كَونِها تُشيرُ إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

سرٌّ سيُعلَن، يَصِفُ حدَثاً مُستَقبَلِيّاً الذي يُمكِنهُ فقط أن يتحقَّقَ بِقُوَّةِ اللهِ القادِرِ على كُلِّ شَيء.

في الإصحاح الحادِي عشَر من رسالَةِ بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية، يُشيرُ بُولُس إلى إسرائيل كَلُغزٍ أو كَسِرّ. (٢٥) فأُمَّةُ إسرائيل هي سِرٌّ لعدَّةِ أَسباب. يُقدِّمُ العهدُ القديمُ بكامِلِهِ الحقيقَةَ الرَّهيبَة أنَّ إسرائيل تُشَكِّلُ إيضاحاً لما يُسمِّيهِ بُولُس "بالإختيار." فاليَهودُ هم شَعبُ اللهِ المُختار. وكَلُغزٍ كِتابِيٍّ صَعب، تُعتَبَرُ إسرائيل أيضاً المِثالَ الكتابِيَّ الأوَّلِيّ عمَّا نَصِفُهُ أحياناً "بالإرادَةِ الحُرَّة،" لأنَّهُم إختارُوا أن لا يَكُونُوا شعبَ اللهِ المُختار.

أمَّا أُمَّةُ إسرائيل المُعاصِرَة، فلَيسَت مُختارَةً، ولا تُعتَبَرُ شعبَ اللهِ المُختار. فمظالِمُهُم المُستَمِرَّة على الشَّعبِ الفِلسطِينيّ يُظهِرُ هذه الحقيقَةَ الرَّهيبَة. وكَونُهُم أُمَّةً، وكَونُهُم لم يَعُودُوا مُشَتَّتِينَ بالكامِلِ في أنحاءِ العالم، هُوَ تحقُّقٌ لكرازَةِ أنبياءِ العهدِ القَديم، أمثال حزقيال، زكريَّا، إشعياء، ولهذه الإصحاحاتِ التي دَوَّنها بُولُس الرَّسُول. ولكنَّ رُجُوعَ إسرائيل رُوحِيَّاً إلى الله، الذي تُنُبِّئَ عنهُ أيضاً، لم يَحدُثْ بعد بِشَكلٍ واضِح.

مَرَّتانِ في هذا الإصحاح، يطرَحُ بُولُس السُّؤال، "أَلَعلَّ اللهَ رفضَ إسرائيل؟" (رُومية ١١: ١، ١١). هل رفضَ اللهُ إسرائيلَ لأنَّهُم رَفَضُوا إبنَهُ، والمَسيَّا الذي أرسَلَهُ إليهِم؟ جوابُهُ هُوَ، "حاشا." و "كلا البَتَّةَ." رِسالَةُ هذا الإصحاح الدِّينامِيكيَّة هي أنَّ اللهَ لم ينتَهِ بعدُ معَ إسرائيل. في هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة من بَينِ كتاباتِ بُولُس بأكمَلِها، يُشيرُ الرَّسُولُ العَظيمُ إلى إسرائيل كسَرٍّ، لأنَّ العلاقَةَ بينَ اللهِ وإسرائيل هي سرٌّ سوفَ يُعلَنُ بطريقَةٍ أو بأُخرى. عندما سيُعلَنُ هذا السِّرّ، ستُصبِحُ نُبُوَّاتُ بُولُس في هذه الإصحاحاتِ مُمكِنَةً فقط بِقُوَّةِ اللهِ القَدير. فإسرائيل هِي سِرٌّ أو لُغزٌ في كُلٍّ منَ التَّعريفَين اللذينَ قدَّمتُهُما عنِ السِّرّ.

يبدَأُ بُولُس هذا الإصحاح بطرَحِ السُّؤال: "فأَقُولُ أَلَعَلَّ اللهَ رَفَضَ شَعبَهُ؟ حاشا. لأنِّي أنا أيضاً إسرائيليٌّ من نَسلِ إبراهيم من سِبطِ بنيامين. لم يَرفُضِ اللهُ شَعبَهُ الذي سبَقَ فعَرَفَهُ." (رُومية ١١: ١، ٢)

عندما أنهَى أحدُ الوُعَّاظ المسيحيِّين الذي يأتي من خَلفِيَّةٍ يَهُوديَّة، عندما أنهى عِظَتَهُ الرَّائِعة في إحدى كُلِّياتِ اللاهُوت، صافَحَهُ أحدُ طُلَّابِ اللاهُوت وقالَ لهُ، "أنتَ أوَّلُ يَهُودِيٍّ مَسيحيٍّ أَسمَعُ عنهُ." فسأَلَهُ الواعِظُ،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

"أَلَمْ تَسمَعْ أبداً بالرُّسُل الإثنَي عشَر؟" فتلاميذُ يسُوع الإثنَي عشَر جميعُهم كانُوا يهُوداً، وعندما نقرَأُ سفرَ الأعمال من بِدايَتِهِ وحتَّى الإصحاحِ العاشر، نُلاحِظُ أنَّ كُلَّ المُؤمِنينَ في الكنيسة كانُوا يَهُوداً. يُذَكِّرُنا بُولُس أنَّهُ بِصِفَتِهِ أعظَم مُرسَل في تاريخِ الكنيسة، يُؤَكِّدُ أنَّ اللهَ لم يُغلِق بابَ الخلاصِ على اليَهُود.

ثُمَّ يُعطِينا إيضاحاً منَ العهدِ القَديم عن نَبِيٍّ عظيم ظَنَّ أنَّ اللهَ تركَ أُمَّةَ إسرائيل، وأنَّهُ كانَ النَّبِيَّ الوحيد الذي لم يَكُن يعبُد الأَصنام والبَعل بينما الجميعُ تركُوا الله، فيقُولُ بُولُس: "أم لَستُم تعلَمُونَ ماذا يقُولُ الكتابُ في إيليَّا كيفَ يتوسَّلُ إلى اللهِ ضِدَّ إسرائيل قائِلاً: يا رَبُّ، قتلُوا أنبِياءَكَ وهَدَمُوا مذابِحَكَ وبَقِيتُ أنا وَحدِي وهُم يطلُبُونَ نفسي. لكن ماذا يَقُولُ لهُ الوَحي؟ أبقَيتُ لِنَفسي سبعَةَ آلافِ رَجُلٍ لم يحنُوا رُكبَةً لِبَعل." (١١: ٢- ٤)

عندما نعيشُ ونخدُمُ الرَّبَّ في مكانٍ لا يتواجَدُ فيهِ إلاَّ قِلَّةٌ ضَئيلَةٌ منَ المُؤمنين، منَ السَّهلِ جدَّاً أن نشعُرَ كما شَعَرَ إيليَّا بأنَّنا وحيدون، وأنَّنا المُؤمنُونَ الحقيقيُّونَ الوحيدُونَ الباقُون، الذين نخدُمُ اللهَ بأمانَة. لو عرَفنا ما يعرِفُهُ اللهُ، لأدرَكنا أنَّ لدى اللهِ الآلاف لا بل الملايين منَ الخُدَّامِ الأُمناءِ أمثالَنا في هذا العالم.

لقد إقتَرَفَ إيليَّا عدَّةَ أخطاء، أوصَلَتْهُ إلى تحتِ شجَرَةٍ، فراحَ يُصَلِّي يائِساً، وطلبَ منَ اللهِ أن يأخُذَ حَياتَهُ. كانَ غلطَتُهُ الأُولى أنَّهُ نَسِيَ كَونِنا لا نَعرِفُ إلا الجزءَ اليَسير مِمَّا يُمكِنُ معرِفَتُهُ. الثقافَةُ الرُّوحِيَّة هي عمليَّةُ مُرُورٍ من عدَمٍ وعينا لجَهلِنا إلى وَعينا لجهلِنا. ووضعُنا لا يَكُونُ سَيِّئاً بمقدارِ ما يَكُونُ عندما ننظُرُ إلى نُفُوسِنا، لأنَّ هُناكَ الكثير منَ المشاكِل التي نجهَلُ عنها الكثير. ولو عرفَنا ما يعرِفُهُ اللهُ، لكُنَّا نتشجَّعُ كثيراً، ولما كانَ لدَينا في قُلُوبِنا أيَّة رغبَة بالمَوت.

ولقدِ إقتَرَفَ إيليَّا أيضاً غلطَةَ إساءَة تقدير قُوَّة الله. والأمُورُ ليسَ سَيِّئَةً أبداً كما تَبدو الصُّورَةُ أحياناً، لأنَّ اللهَ ليسَ ضعيفاً كما نَظُنُّهُ نحنُ. كانَ المَوضُوعُ الختامِيُّ في الإصحاحِ الثَّامن من رسالَةِ رُومية أنَّ اللهَ هُوَ السَّيِّدُ والمُتَسَلِّطُ على الأُمُور، ولديه كُلّ القُوَّة التي يحتاجُها ليُحَقِّقَ لنا الإنتِصارَ الرُّوحِيّ. وبإمكانِهِ أن يجعَلَ كُلَّ الأشياء التي تحدُثُ لنا – حتَّى عندما لا يَكُونُ فيها أيُّ شَيءٍ صالِح – تعمَلُ معاً لِلخَير، لتُتَمِّمَ خُطَّةَ اللهِ لأجلِنا ومن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

خلالِنا. عندما نَستَعيدُ رُؤيانا لقُوَّةِ وسيادَةِ اللهِ الكامِلَة، لن نيأسَ ولن نطلُبَ منهُ إماتَتنا.

الخطأُ الثَّالِث الذي إقتَرَفَهُ إيليَّا كانَ أنَّهُ نَسِيَ الفَرقَ بينَ النِّعمَةِ والأعمال: "فكذلكَ في الزَّمانِ الحاضِرِ أيضاً قد حَصَلَت بَقِيَّةٌ حسبَ إختِيارِ النِّعمَة. فإن كانَ بالنِّعمَة، فليسَ بعدُ بالأعمال. وإلا فَلَيسَتِ النِّعمَةُ بعدُ نِعمَة. وإن كانَ بالأعمال فليسَ بعدُ نِعمَة. وإلا فالعَمَلُ لا يَكُونُ بعدُ عملاً." (رُومية ١١: ٥، ٦).

عندما نُفَكِّرُ بأنَّ عملَ اللهِ يعتَمِدُ على من وماذا نحنُ، وماذا نستَطيعُ أو لا نستَطيعُ أن نعمَلَ، سوفَ نيأس. إنتِصارُنا سيأتي عندما نستَرجِعُ وُجهَةَ النَّظر القائِلَة بأنَّ عمَلَ اللهِ يعتَمِدُ على من وما هُوَ الله، وعلى ما يستطيعُ أن يعمَلَهُ من خلالِنا.

لقد نَسِيَ هذا النَّبيُّ العَظيمُ أيضاً أنَّ حياتَهُ الرُّوحيَّة كانَ مربُوطَةً بحَبلٍ مُثَلَّث إلى حياتِهِ الجسديَّة والعَقليَّة. لقد كانَ يُهمِلُ حاجاتِهِ الجسديَّة. كانَ مُنهَكاً، ولم يأكُلْ شَيئاً ولم يَنمْ لفترَةٍ طَويلَة. فأوقَعَ اللهُ عليهِ سُباتاً عميقاً، ثُمَّ أيقَظَهُ، أطعمَهُ، وأوقَعَهُ ثانِيَةً في سُباتٍ عميق، ثُمَّ أعادَهُ بشكلٍ حاسِمٍ إلى خدمَتِهِ العجائِبيَّة. (١مُلُوك ١٧، ١٨، ١٩).

يُطَبِّقُ بُولُس ما قالَهُ اللهُ لإيليَّا عن بَقِيَّة اليَهُود الأمينة، على خُطَّةِ اللهِ لإسرائيل. رُغمَ أنَّهُ عبرَ الألفَي سنَة من تاريخِ الكنيسة، لم يُوجَدُ الكثيرُ من المُؤمنينَ بالمسيحِ منَ اليَهُود، ولكن هُناكَ البَعضُ منهم منَ الذين آمنُوا بالمسيحِ بأنَّهُ المسيَّا، المُخَلِّص، والرَّبّ. لقد تمتَّعتُ بإمتِيازِ تبشيرِ أحدِ اليَهُود وقيادَتِهِ للإيمانِ بالمسيح. ولكنِّي أخدِمُ كخادِمٍ للإنجيل منذُ العام ١٩٥٣، ولقد رأيتُ الكثيرَ منَ النَّاسِ يأتُونَ إلى الإيمانِ بيسُوع. ولكنِّي في كُلِّ هذه الفترة، لم أرَ إلا عشرَة أشخاص منَ اليَهُود يُؤمِنُونَ بالمسيح ويُصبِحُونَ لهُ تلاميذ.

يُقدِّمُ بُولُس تفسيراً لهذا الأمر، في الأعدادِ التَّالِيَة، حيثُ يكتبُ بُولُس أنَّ هُناكَ لُغزاً منَ العَمى الرُّوحِيّ قد أُسدِلَ على أَعيُنِ إسرائيل كَشَعب: "فماذا؟ ما يَطلُبُهُ إسرائيل ذلكَ لم يَنَلْهُ. ولكنِ المُختارُونَ نالُوه. وأمَّا الباقُونَ فتَقَسَّوا. كما هُوَ مَكتُوبٌ أعطاهُمُ اللهُ رُوحَ سُباتٍ وعُيُوناً حتَّى لا يُبصِرُوا وآذاناً حتَّى لا يسمَعُوا إلى هذا اليَوم. وداوُد يقُولُ لِتَصِر مائِدَتُهُ فَخّاً وقنصاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

وعثَرَةً ومُجازاةً لهُم. لتُظلِمْ عيُونُهُم كي لا يُبصِرُوا ولِتَحْنِ ظُهُورُهُم في كُلِّ حِين." (رُومية ١١: ٧- ١٠)

العَمَى الرُّوحِي الذي يكتُبُ عنهُ بُولُس، كانَ ولا يزالُ واضِحاً اليَوم. أحدُ عوارِضِ هذا العمَى الرُّوحِيّ هُوَ النَّقيضُ المُباشِر لنِعمَةِ ورَحمَةِ الله، الذي يُقدَّمُ بإستِمرارٍ في كلِمَةِ اللهِ، من سفرِ التَّكوِين إلى سِفرِ الرُّؤيا. اليَهُودِيُّ الأرثُوذُوكسِيُّ المُحافِظ كانَ ولا يزالُ اليومَ مُصَمِّماً على تحقيقِ خلاصِهِ بطاعَةِ نامُوسِ الله. هُناكَ شَيءٌ في الطَّبيعَةِ البَشَريَّة الذي يَرفُضُ أن يستَسلِمَ لِخلاصِ الله، وأن يعتَرِفَ بأنَّنا عاجِزُونَ عن تخليصِ نُفُوسِنا.

كانَ يسُوعُ يُعَلِّمُ عنِ الأهمِّيَّةِ المصيريَّة لمَوقِفِ العجزِ هذا، عندما علَّمَ عنِ المَوقِفِ الأوَّل الذي ينقُلُنا إلى ملَكُوتِ السماوات، والذي يجعَلُ منَّا ملحَ الأرضِ ونُورَ العالم: "طُوبَى للمَساكِينِ بالرُّوح." (متَّى ٥: ٣). ثُمَّ أضافَ يسُوعُ على هذه التَّطويبَة بالتَّالِي: "طُوبى لِلحَزَانَى." على الأقَلّ تطبيقُ هذه التطويبَة الثَّانِيَة هي أنَّنا نحزنُ بينَما نتعلَّمُ أن نعتَرِفَ بأنَّنا مساكِين في الرُّوح.

بُعدٌ آخَر للبِرِّ الذَّاتِي والعَمى الرُّوحِيّ عندَ اليَهُود، كانَ ولا يزالُ إقتِناعُهُم بأنَّهُم كَونَهُم يحفَظُونَ النَّامُوس ويعمَلُونَ أعمالاً صالِحَة، فاللهُ مَدينٌ لهُم بإعطائِهِم الخلاص. يختُمُ بُولُس هذا القِسم العقائِديّ من رسالَتِهِ بالإشارَةِ إلى أنَّهُ لا يُوجَد إنسانٌ يستَطيعُ القَولَ أنَّهُ أعطَى للهِ لِدَرَجَةٍ أصبَحَ اللهُ معَها مَديناً لهُ: "أو من سَبَقَ فأعطاهُ فيُكافَأ"(رُومية ١١: ٣٥).

الرَّحمَةُ هي صِفَةُ اللهِ بحجبِهِ عنَّا ما نستَحِقُّهُ. أوضَحَ بُولُس في الإصحاحاتِ الأربَعَة الأُولى من هذه الرِّسالَة، أنَّنا لا نَستَحِقُّ إلا غضَب الله، المُعلَن على إثمِنا. وكُلُّ ما يُوقِفُ غَضَبَ ودينُونَةَ اللهِ علينا هُوَ نتيجَةٌ لرحمَةِ الله.

نِعمَةُ اللهِ هي تِلكَ الصِّفَةُ من صِفاتِ اللهِ، التي تُغدِقُ علينا بركاتِ الخلاص التي لا نَستَحِقُّها. فاللهُ يقُومُ بِدَورِهِ في خلاصِنا، إذ يستخدِمُ كُلَّ وسيلَةٍ مُمكِنَة ليُرجِعَنا إلى حيثُ يُمكِنُنا أن نُصَلِّيَ صلاةَ العَشَّار، "اللهُمَّ إرحَمنِي أنا الخاطِئ!" (لُوقا ١٨: ١٣)

عندَما نُصَلِّي صلاةَ الخاطِئِ تلك، عِندَها نُطَبِّقُ التَّطويبَةَ الأُولى التي علَّمها يسُوع، والتي ينبَغي أن نتمتَّعَ بها إذا أرَدنا أن نَكُونَ ملحَ الأرضِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

ونُورَ العالم: أي أن نَكُونَ مساكِين بالرُّوح. ترجَمَتُنا لعبارَة "مساكين بالرُّوح" تعني "مُنكَسِري الرُّوح." في هذا الإطار، يُريدُ اللهُ أن يستَخدِمَ عواقِبَ أنانِيَّتِنا السِّلبيَّة، وحياتَنا المُتمَحورَة حولَ ذواتِنا، ليَصِلَ بنا إلى الإنكِسار الذي يعتَرِفُ بعَجزِنا، ويعتَرِفُ أنَّنا لن نقدِرَ أن نُخَلِّصَ نُفُوسَنا.

إنَّ عمَى اليَهُود رُوحِيَّاً جعَلَهُم يبقُونَ في حالَةِ رَفضٍ لحاجَتِهِم لرحمَةِ ونعمَةِ اللهِ، وأغلَقَ عليهم بابَ الخلاص. هُناكَ الملايين منَ النَّاسِ في هذا العالم، الذين يُشبِهُونَ اليَهُود من ناحِيَة كَونِهم مُصَمِّمينَ على تخليصِ أنفُسِهم، بواسِطَةِ ما يفعَلُونَهُ أو لا يفعَلُونَهُ، لِكَي يُحَقِّقُوا خلاصَهُم. فهُم مُقتَنِعُونَ أنَّهُم قادِرُونَ ومُلتَزِمُونَ تماماً بإكتِسابِ نعمَةِ الله.

عندما يسأَلُ بُولُس ثانِيَةً السُّؤال الذي بهِ يبدَأُ هذا الإصحاح، يطرَحُ هذا السُّؤال بطريقَةٍ مُختَلِفَة: "فأَقُولُ أَلَعَلَّهُم عَثَرُوا لِكَي يسقُطُوا؟ حاشا!" (رُومية ١١: ١١) بَينما يُجيبُ على هذا السُّؤال للمَرَّةِ الثَّانِيَة، يَصِلُ إلى قَلبِ رِسالَةِ هذا الإصحاح والإصحاحَين السَّابِقَين. في النِّصفِ الثَّاني من العدد الحادِي عشَر من هذا الإصحاح الحادي عشَر، سيبدَأُ بإعطاءِ خمسَةِ أسبابٍ التي لأجلِها، ستَكُونُ إسرائيلُ يوماً ما كأُمَّةٍ شعباً تَقِيَّاً وَرِعاً من جَدِيد، وسيَختَارُونَ مُجَدَّداً أن يَكُونُوا شعبَ اللهِ المُختار.

السَّبَبُ الأوَّل للإعتِقادِ بتَوبَةِ إسرائيل رُوحيَّاً، هي أنَّ خلاصَ الأُمَم كانَ المقصُودُ منهُ دائماً من قِبَلِ اللهِ أن يُؤَدِّي إلى خلاصِ إسرائيل: "بَل بِزَلَّتِهِم صارَ الخلاصُ للأُمَم لإغارَتِهم." (رُومية ١١: ١١).

إذا كانَ سفرُ أعمالِ الرُّسُل مألُوفاً لدَيكُم، ستعرِفُون أنَّهُ عندما كانَ بُولُس يدخُلُ مدينَةً مُعَيَّنة، كانَ يذهَبُ دائماً إلى اليَهُودِ أوَّلاً. وعندما كانَ اليَهُودُ يرفُضُونَ كرازَتَهُ، وأحياناً كانُوا يضطَّهِدُونَهُ بِقَسوة، وكانُوا يُثيرُونَ مُدُناً بأسرِها ضِدَّهُ، كانَ يتوجَّهُ نحوَ الأُمَم ويكرِزُ لَهُم برسالَةِ الإنجيل. ويُخبِرُنا في هذا الإصحاح أنَّ دافِعَهُ لتلكَ الستراتيجيَّة، كانَ أن يُغيرَ اليَهُود، كما تنبَّأَ مُوسى، لأنَّهُ تأمَّلَ أن تُؤَدِّي غَيرَةُ هؤُلاء الأتقياء لخلاصِهم.

هل تُدرِكُونَ كم ينبَغي أن تَحُضَّ هذه الكلماتُ كُلَّ الأُمم المُتَبَرِّرينَ بالإيمان، والمُؤَهَّلينَ بنعمَةِ اللهِ ليعيشُوا حياةً تُمَجِّدُ الله؟ فبِنِعمَةِ اللهِ، علينا أن نتمتَّعَ بعلاقَةٍ حيويَّةٍ جميلَةٍ معَ اللهِ، من خلالِ المسيح، لكَي نجعَلَ اليَهُودَ الأتقِياء ينظُرُونَ إلينا ويشعُرُونَ بالغَيرَة. ينبَغي أن يُلاحِظُوا محبَّتَنا، فرَحَنا،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

وسلامَنا في المسيح، ويَقُولُوا، "كانَ هذا مقصُوداً لنا نحنُ اليَهُود، ونحنُ نغارُ منَ الأُمَم الذين يختَبِرُونَ ما أعدَّهُ اللهُ أصلاً لنا كَشَعبِهِ المُختار.

كم منَّا نحنُ تلاميذ رَبِّنا يسُوع المسيح، لديهم هكذا علاقَة رائِعَة معَ اللهِ، لدرجَةٍ نُغيرُ معها اليهُود، أو أيَّ شَخصٍ آخر بهذا النَّوع منَ الغَيرَة للتَّقوى؟ للأَسَف هُناكَ القَليلُ القَليل الذي تستطيعُ الكنيسةُ المحليَّة أن تُحَقِّقَهُ على صَعيدِ هذا النَّوع منَ الغَيرَة في قُلُوبِ اليَهُودِ الأتقِياء، أو غيرَهم من غير المُؤمنين، الذي سيُزَوِّدُهُم بالرَّغبَةِ الجامِحة ليتمتَّعُوا بما نتمتَّعُ بهِ نحنُ، ليستطيعُوا أن يُصبِحُوا مثلَنا. بالحقيقَة، هُناكَ الكَثيرُ في كَنائِسِنا مِمَّا سيُثيرُ شُعُوراً مُناقِضاً للتَّقوى. جوهَرُ شهادَتِنا لليَهُود، أو لكُلِّ أُولئكَ الذين يُراقِبُونَنا، هُوَ التَّالِي: هل يُريدُونَ أن يتمتَّعُوا بما نتمتَّعُ بهِ، لكي يُصبِحُوا مثلَنا؟

السَّبَبُ الثَّاني الذي قدَّمَهُ بُولُس للإعتِقادِ بتَوبَةِ اليَهُود ورُجُوعِهِم روحيَّاً للرَّب، هُو أنَّ العالَمَ بأسرِهِ سيتبارَكُ عندما سيحدُثُ هذا الأمر. بالواقِع، هذه البَركَة لن تتحقَّقَ إلى أن يَتِمَّ الرُّجُوع الرُّوحِيّ: "فإن كانَت زَلَّتُهُم غِنَىً لِلعالَم ونُقصانُهُم غِنَىً للأُمَم، فكَم بالحَرِيِّ مِلؤُهُم. فإنِّي أقُولُ لكُم أيُّها الأُمَم. بما أنِّي أنا رَسُولٌ للأُمَم، أُمَجِّدُ خدمَتي. لَعَلِّي أُغيرُ أنسِبائِي وأُخَلِّصُ أُناساً منهُم. لأنَّهُ إن كانَ رَفضُهُم هُوَ مُصالَحَةُ العالم، فماذا يَكُونُ إقتبالُهُم إلا حياةً منَ الأموات." (رُومية ١١: ١٢- ١٥)

الخدمَةُ التي تَدعَمُ هذه السِّلسِلَة للدِّراساتِ الكَتابِيَّة، تُسَمَّى "خدمة التَّعاوُن العالَميَّة". مُؤَسِّسُ هذه الخدمة ورَئيسُ مجلِسِ إدارَتِها، حَضَرَ المُؤتَمَر العالمي لتبشيرِ العالم، في لُوزان في سويسرا، مُنذُ عدَّةِ سنواتٍ. لقد أُعجِبَ كثيراً جداً بِرُؤيَةِ أعلامِ كُلِّ أُمَّةٍ على الأرض التي كانت قد تأثَّرَت بإنجيلِ يسُوع المسيح. كُلُّ أُمَّة على الأرض أُعلِنَ فيها إنجيلُ رَبِّنا يسُوع المسيح بِحُرِّيَّة، هي أُمَّةٌ حُرَّة. وُلِدَت رُؤيتُهُ للتَّاثيرِ على كُلِّ الأُمَم بكلمَةِ اللهِ، في ذلكَ المُؤتَمَرِ العظيم. وبَيانُ إيماننا هُوَ بيانُ الإيمان الذي تمَّت صِياغَتُهُ من قِبَلِ مُمَثِّلي الأُمم الحُرَّة التي حضَرت المُؤتَمَر.

بمعنىً ما، كُلُّ تلكَ الأُمَم كانت قد سَمِعت إنجيلَ رَبِّنا يسُوع المسيح، لأنَّ اليَهُودَ رَفَضُوا المسيح. ما يَقُولُهُ بُولُس هُنا هُو أنَّهُ، إن كانَ ذلكَ الرَّفضُ قد نتجَ عنهُ كُلُّ تلكَ الأُمم التي سَمِعَت إنجيلَ المسيح، كم سيتبارَكُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

العالَمُ أكثَر جدَّاً عندما سيُؤمِنُ اليَهُودُ بإنجيلِ المسيح، وعندما سيختارُونَ مُجدَّداً أن يَكُونُوا شعبَ اللهِ المُختار. هذه هي المُعجِزَة الخارِقَة للطَّبيعَة، التي أعلنَها كُلٌّ من مُوسى، إشَعياء، داوُد، والرَّسُول بُولُس جميعاً في هذا الإصحاحِ المُدهِش من الكتابِ المُقدَّس.

ولكي يُقَدِّمَ سَبَبَهُ الثَّالِث للإعتِقادِ برُجُوعِ اليَهُود رُوحيَّاً إلى الرَّب، يستَخدِمُ بُولُس إستعارَتَينِ عميقَتَين: "وإن كانَتِ الباكُورَةُ مُقَدَّسَةً فكذلكَ العَجينُ. وإن كانَ الأصلُ مُقَدَّساً، فكذلكَ الأغصان." (رُومية ١١: ١٦)

فقط اليَهُودِيُّ التَّقيُّ هُوَ الذي سيفهَمُ هذه الإستِعارات. هذا سَبَبُ كونِ هذه الرِّسالَة صعبَةَ الفَهمِ علينا، كوننا نأتي من خَلفِيَّةٍ أُمَمِيَّة. لقد أَشَرتُ بِضعَ مرَّاتٍ حتَّى الآن إلى أنَّهُ بينما كانَ بطرُس يكتُبُ هذه الرِّسالَة، كانَ يخاطِبُ اليَهُودَ الذين كانُوا يُشبِهُونَ شاوُل الطرسُوسيّ المُتَعصِّب، قبلَ أن يلتَقِيَ بالمسيح، وقبلَ أن يتغيَّرَ إسمُهُ إلى بُولُس.

الإستِعارَةُ الأُولى تُشير إلى العِبادَة التي أمرَ بها اللهُ في خيمَةِ الإجتِماعِ في البَرِّيَّة، خاصَّةً تقدِمَةُ الباكُورَة. لكي يَتِمَّ تقديمُ هذه التَّقدِمَة للرَّبّ، كانَ يَتِمُّ تحضيرُ كَمِّيَّةٍ كبيرَةٍ منَ العَجين. كانَ الكاهِنُ يقتَطِعُ رغيفاً صغيراً من هذه الكَمِّيَّة الكبيرَة منَ العجين (أو كُتلَة العجين بحسبِ اللُّغَةِ الأصليَّة)، وكانَ يُقَدِّمُها باكُورَةً للرَّبّ. تُعَلِّمُ هذه الإستِعارَةُ أنَّهُ إن كانَ الرَّغيفُ الذي إقتُطِعَ منَ كُتلَةِ العجين مُقَدَّساً، فالعجينُ كُلُّهُ سيَكُونُ عندها مُقَدَّساً.

تَطبيقُ هذه الإستِعارَة هي أنَّ الباكُورَة تُشيرُ إلى الآباء القُدَماء؛ إبراهيم، إسحَق، ويعقُوب الذينَ كانُوا مُقَدَّسِين. فإن كانَ إبراهِيم، إسحَق، ويعقُوب مُقَدَّسِينَ وإن كانُوا الباكُورة، أو آباء هذا الشَّعب المُختار، فسيَكُونُ عندَها الشَّعبُ كأُمَّةٍ مُقدَّساً أيضاً.

الإستِعارَةُ الثَّانِيَةُ تقُودُ بُولُس إلى سَبَبِهِ الرَّابِع للإعتِقادِ بعَودَةِ إسرائيل رُوحيَّاً إلى الرَّب، وهذا السَّبب يربِطُ الجُذُورَ بالأغصان. عِندَما يُصبِحُ اليَهُودِيُّ مَسيحيَّاً، لا يُغَيِّرُ تراثَهُ الرُّوحِيُّ أبداً. إنَّهُ يُصبِحُ يَهُودِيَّاً مُكَمَّلاً. ولكن، عندما يُصبِحُ الأُمَمِيُّ مسيحيَّاً، يُصبِحُ يَهُوديَّاً بالمَعنَى الرُّوحِيّ للكَلِمة، أي أنَّهُ يُصبِحُ من شَعبِ الله، كما يُسمِّي ذلكَ بُولُس الرَّسُول، "إسرائيل الله." اليَهُودُ هُم الجُذُورُ التي تحمِلُ أغصانَ الزَّيتُونَةِ البَرِّيَّة (أي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الأُمَم). الأُمَمُ هم مُطَعَّمُونَ فقط في شجرَةِ الزَّيتُون (اليَهُود.) اليَهُودُ هُم الأغصانُ الطَّبيعيَّةُ الأصيلَةُ في شجرَةِ الزَّيتُون هذه، التي تُمَثِّلُ شعبَ اللهِ المُختارِ بالأصل.

يُخاطِبُ بُولُس الآن الأُمَم عندما يكتُبُ قائِلاً: "فإن كانَ قد قُطِعَ بَعضُ الأغصانِ وأنتَ زَيتُونَةٌ بَرِّيَّةٌ طُعِّمْتَ فيها فَصِرتَ شَريكاً في أصلِ الزَّيتُونَةِ ودَسَمِها. فلا تفتَخِر على الأغصان. وإن إفتَخَرتَ فأنتَ لَستَ تحمِلُ الأصلَ بلِ الأصلُ إيَّاكَ يحمِل. فستَقُولُ قُطِعَتِ الأغصانُ لأُطَعَّمَ أنا. حسناً. من أجلِ عدَمِ الإيمانِ قُطِعَتِ الأغصانُ الطَّبيعيَّةُ، فلعَلَّهُ لا يُشفِقُ عليكَ أيضاً." (رُومية ١١: ١٧- ٢١)

الأُمَمُ المَفدِيُّونَ طُعِّمُوا على الأغصان، وأمَّا أبناء إبراهيم بالطَّبيعة فهُم الجُذُور التي تحمِلُ الأغصان. يَعتَقِدُ بُولُس بِوُضُوحٍ أنَّ مُوسَى، إشعياء وداوُد قد تنبَّأُوا بتَوبَةِ وعودَةِ إسرائيل الرُّوحيَّة للرَّب. فَمِن غير المعقُول، بالنِّسبَةِ لِبُولُس، أنَّ الجُذُورَ التي تحمِلُ أغصانَ الزَّيتُون البَرِّيَّة، والتي طُعِّمَت في هذه الشَّجَرَة، من غير المعقُول أنَّ هذه الجُذُور الطَّبيعيَّة لن ترجِعَ يوماً ما إلى أصلِها الرُّوحِيّ. هذا هُوَ السَّبَبُ الرَّابِع للإعتِقادِ بِعودَةِ إسرائيل الرُّوحيَّة.

يُشارُ أحياناً إلى الكتابِ المُقدَّس بأنَّهُ "إعلانُ اللهِ العِبرانيُّ-المسيحيُّ." عندما يُشارُ إلى الكتابِ المُقدَّس كالإعلانِ العِبري ومن ثَمَّ كالإعلانِ المسيحيّ، فهذه طريقَةٌ أُخرى للإشارَةِ إلى العَهدَين القَديم والجَديد.

منَ المُهِمِّ بالنِّسبَةِ لنا أن نُدرِكَ أنَّ الأسفارَ الخمسةَ الأُولى للكتابِ المُقدَّس، أو أسفار النَّامُوس، هي أساسٌ هامٌّ جدَّاً نحنُ بأمَسِّ الحاجَةِ إليهِ خلالَ إقتِرابِنا منَ الأناجيل ومن حياةِ وتَعاليمِ يسُوع المسيح. (إن كُنتُم لم تدرُسُوا معنا هذه الأسفار من العهدِ القَديم، أُشَجِّعُكُم أن تحصَلُوا على الكُتَيِّبَين الأوَّل والثَّاني اللَّذَينِ يُساعِدانِكُم في دراسَتِكُم). في هذه الرِّسالَة العميقة، يُعَلِّمُ بُولُس الرَّسُول بإسهابٍ أنَّ مَوتَ يسُوع المسيح على الصَّليب، كانَ ولا يزالُ الأساس الذي عليهِ تُغفَرُ خطايانا ونُعلَنُ مُتَبَرِّرين.

عندما نَسمَعُ يُوحَنَّا المعمدان يُعَرِّفُنا على يسُوع المسيح كحَمَلِ اللهِ، أو عندما يُعَلِّمُ الرُّسُلُ في رسائِلِهِم المُوحاة بما يُعلِّمُ بهِ بُولُس في هذه الرِّسالَة، أنَّنا نتبرَّرُ بالإيمانِ بما فعلَهُ يسُوعُ من أجلِنا على الصَّليب، أقوَى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

حُجَّـة لِهـذا التَّعليم نَجِـدُها فـي أسفارِ النَّـامُوس، وبـأكثَرِ تحديدٍ فـي سفرَي الخُـروج واللاوِيِّـين. (يُوحَنَّـا ١: ٢٩). هُنـاك كـانَ يُقـدَّمُ دَمُ حَمَـلِ الفِصـح كفَّارَةً، أو غِطاءً، كانَ يحمي العائِلات العبرانِيَّة من غَضَبِ الله. عندما رأى مـلاكُ يَهـوَة دَمَ الحَمـل فـوقَ أعتـابِ منـازِلِهم، كـانَ يعبُـرُ ويتجـاوزُ هـذه العائِلات. (خُرُوج ١٢)

أَحدُ تصريحات يسُوع الأخيرة قبلَ توقيفِهِ وصَلبِهِ، قدَّمَـهُ فـي العُلِّيَّـة حيـثُ إحتَفَلَ بالفَصـحِ الأخيـر مـعَ رُسُـلِهِ. بـدأَ هـذا الفَصـح بإخبـارِ هـؤلاء الرِّجال أَنَّهُ أحبَّهُم لِدَرَجَةِ أَنَّهُ كـانَ يتطلَّـعُ بِشَـوقٍ لتنـاوُلِ هذا الفصـح معَهُم. كانَ هذا لأَنَّـهُ لـم يكُنْ سيَحتَفِلُ مُجدَّداً بهذه المائِدة، إلـى أن تَتَحقَّقَ بكامِلِ معناهـا (لُوقـا ٢٢: ١٥، ١٦). بعدَ تصـريحِهِ بهـذه الكلمـات بِقَليـل، أصـبَحَ يسُوعُ حمَلَ الفَصحِ بموتِهِ على الصَّليب.

عبـرَ هـذه الرِّسـالَة الرَّائِعـة مـن بُـولُس إلـى أهلِ رُوميـة، نَجِـدُهُ يُقـدِّمُ مفهُومَين: "النَّـامُوس، و "تَتميم النَّـامُوس." بِحَسَـبِ بُـولُس، نـامُوسُ اللهِ مـن خلالِ مُوسى تحقَّقَ من خلالِ يسُوع المسيح على الصَّليب.

عنـدَما نَقُـولُ أَنَّنـا نُـؤمِنُ بـأَنَّ يسُـوعَ مـاتَ علـى الصَّـليب مـن أجـلِ خطايانـا، بإمكانِنـا أن نـدعَمَ هـذا الإقتِنـاع بكلمـاتِ يسُـوع المُقتَبَسَـة أعـلاهُ، والمُتَعلِّقَـة بمَوتِـهِ علـى الصَّـليب كحَمَـلِ الفِصـح. وبإمكانِنـا أيضـاً أن نبنِـيَ إقتناعَنا على كلمات الرَّسُول المُوحى بها. ولكن تأييدَنا الأقوى لهذا الإقتِناع يـأتي مـن سِفرَي النَّـامُوس: الخُـرُوج واللاوِيِّـين، حيـثُ يُقـدَّمُ حمَـلُ الفِصـح ذَبيحَةً، ويُطبَّقُ على عِبادَةِ اليهُود.

هذا هُوَ المقصُـودُ عنـدما يُسَـمَّى الكتـابُ المُقدَّسُ "الإعـلانُ العبرانـيّ المسيحي لله." وهذا ما قصدَهُ بُولُس عندَما كتبَ أنَّ هذه الأغصان المُطَعَّمَة لا تحمِلُ جُذُورَ إسرائيل، بل الجُذُورُ تَحمِلُ هذه الأغصان.

بينما يُخاطِبُ بُولُس المسيحيِّينَ الأُمَمِيِّين في هذه الأعدادِ المَذكُورَةِ أعلاه، يُقدِّمُ مجازِيَّـاً إبـراهيم وإيمـان إبـراهيم كشَـجَرَةِ زَيتُـون، والمُؤمِنُـونَ الأُمَم كأغصانِ زيتُونٍ بَرِّيَّة، طُعِّمَتْ في شجَرَةِ الزَّيتُون الأصيلة. الأغصانُ الطَّبيعيَّةُ في شجرَةِ الزَّيتُون الأصيلة تلك قد تكسَّرَت بفعلِ عدَمِ الإيمان. ولكن إذ يُخاطِـبُ بُـولُس كُـلَّ جيلٍ مـنَ المُؤمنين منـذُ القَـرنِ الأوَّل، يُحَـذِّرُ المُؤمنينَ الأُمَم، أَنَّهُ إن كانَت الأغصانُ الطَّبيعيَّةُ الأصيلة قد تكسَّرَت بفعلِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

عدَمِ الإيمان، فإن كُنَّا نَحنُ الأُمم لا نُؤمِنُ بهذا البِرّ الذي بالإيمان، فسوفَ نُقطَعُ كذلكَ.

السَّبَبُ الخامِسُ الذي لأجلِهِ يُؤمِنُ بُولُس بتوبَةِ وبِرُجُوعِ إسرائيل رُوحيَّاً، نَجِدُهُ في الأعدادِ التَّالِيَة: "فَهُوَّذا لُطفُ اللهِ وصرامَتُهُ. أمَّا الصَّرامَة فعلى الذين سقَطُوا. وأمَّا اللُّطف فَلَكَ إن ثَبَتَّ في اللُّطفِ وإلا فأنتَ أيضاً ستُقطَع. وهُم إن لم يثبُتُوا في عَدَمِ الإيمان سيُطَعَّمُون. لأنَّ اللهَ قادِرٌ أن يُطَعِّمَهُم أيضاً. لأنَّهُ إن كُنتَ أنتَ قد قُطِعتَ منَ الزَّيتُونَةِ البَرِّيَّةِ حسبَ الطَّبيعة وطُعِّمتَ بِخِلافِ الطَّبيعة في زَيتُونَةٍ جَيِّدَةٍ، فكَم بالحَرِيِّ يُطَعَّمُ هؤُلاء الذين هُم حَسَبَ الطَّبيعة في زَيتُونَتِهِم الخاصَّة؟" (رومية ١١: ٢٢-٢٤).

لِكَي نفهَمَ السَّبَبَ الأوَّل لهذا الإقتناعِ العجيب لبُولُس – أنَّ إسرائيل سوفَ ترجِعُ رُوحيَّاً يوماً ما – أشَرتُ إلى أنَّنا نحتاجُ إلى فَهمِ طريقَةِ تفكيرِ اليهُودِيّ التَّقِيّ، الذي تربَّى على ذبائِحِ العبادَة في العهدِ القَديم. لكَي نفهَمَ سبَبَهُ الأخير للإعتِقادِ بهذا التَّعليمِ النَّبَوِيّ، نحتاجُ أن نعرِفَ شَيئاً عن نُمُوِّ الأشجارِ المُثمِرَة.

بما أنَّ أَحَدَ أصدِقائِي المُقَرَّبِينَ هُوَ مُزارِعٌ مُحتَرِفٌ، تمكَّنتُ أن أتعَلَّمَ منهُ أنَّكَ إذا طعَّمتَ غُصناً منَ النَّكتَرين على شَجَرَةِ دُرَّاقٍ، فإنَّ هذا الغُصنَ لن يُثمِرَ دُرَّاقاً، بل نكتيريناً، لأنَّ الثِّمارَ تنتُجُ منَ الغُصنِ وليسَ من جُذعِ الشَّجَرَةِ الأساسِيّ.

لهذا إستَخدَمَ بُولُس تعبير "على خِلافِ الطَّبيعة" في المقطَعِ المُقتَبَسِ أعلاه. من خلالِ هذه الإستِعارَة الجميلة، يَقُولُ بُولُس لهؤلاء الأُمم ما معناهُ: "أنتُم كأُمَمٍ قُطِعتُم من زيتُونَةٍ بَرِّيَّةٍ، وكأغصانِ زيتُونٍ بَرِّيَّةٍ طُعِّمتُم في شَجَرَةِ زيتُونٍ أصيلَة ومثمِرَة. على هذا الشَّكل، لن تتمكَّنُوا من الإتيانِ إلا بالأثمارِ البَرِّيَّةِ المُرَّةِ وغيرِ النَّافِعة. ولكن على خِلافِ الطَّبيعة، أنتُم تُثمِرُونَ الآنَ ثِمارَ الرُّوحِ القُدُس الخارِقَة للطَّبيعة! إن كانَ اللهُ قادِراً أن يُنتِجَ الخليقَةَ الجديدَةَ التي صِرتُم إيَّاها، منَ أغصانِ الزَّيتُونِ البَرِّيَّةِ أمثالِكُم، فهُوَ قادِرٌ بالتأكيد أن يُنتِجَ أثماراً خارِقَةً للطَّبيعَة منَ الأغصانِ الطَّبيعيَّة، عندما يُؤمِنُونَ ويُطَعَّمُونَ مُجَدَّداً بزيتُونَتِهِم الجميلة كأبناء إبراهيم الطَّبيعيِّين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الآن نحنُ لا ننظُرُ إلى الإعلانِ العبراني المسيحيّ، بل إلى شَعبَينِ مُنفَصِلَين، العبرانِيِّين والمسيحيِّين، اللَّذَينَ سادَت بينَهُما علاقاتٌ مُضطَرِبَةٌ لأكثَرِ من عشرينَ قرناً. في مُعظَمِ الحضاراتِ، الأقرِباءُ الذين ليسَ لدَيهم إلا القَليل منَ القواسِمِ المُشتَرَكَة التي تَجمَعُهُم، عليهِم أن يلتَقُوا طوالَ السَّنة وأن يتعاطُوا معَ بعضِهِم البَعض عدَّةَ مرَّاتٍ كُلَّ سنَة، ولا سِيَّما لإحتفالاتِ الأعياد الخاصَّة. تَعايُشُ كنيسة يسُوع المسيح والأُمَّة اليَهُوديَّة هو مثل إلتقاء الأقارِب من وقتٍ إلى آخر، ولكن غالِباً ما يكتَشِفانِ غرابَةَ لا بَل إستِحالَةَ العَمَل على إستِمرارِيَّةِ علاقَتِهما معاً.

عَلينا أن نُدرِكَ أنَّ هذا هُوَ أكثَر من مُجَرَّد إقتِناع، أو من مُجَرَّد نُبُوَّة من بُولُس الرَّسُول. تَذَكَّرُوا أنَّ بُولُس يُؤَسِّسُ هذا الرَّجاءَ لشَعبِ إسرائيل الذي أحَبَّهُ كثيراً على نُبُوَّاتِ مُوسى، إشَعياء، وداوُد. وكانَ بإمكانِهِ أن يستَشهِدَ بأنبياء آخرين، خاصَّةً زَكَرِيَّا (٨: ٢٠- ٢٣؛ ١٣: ٦)، الذي، بإستِثناءِ إشَعياء، أعطانا نُبُوَّاتٍ مَسياوِيَّة أكثَر من أيِّ نَبِيٍّ آخر.

السَّبَبُ الأخير لإيمانِ بُولُس بِعَودَةِ إسرائيل رُوحِيَّاً إلى الرَّبّ، لهُ تطبيقٌ ماضِياً، حاضِراً، ومُستَقبَلاً. عندما يكتُبُ بولُس قائِلاً أنَّ اللهَ قادِرٌ أن يُطَعِّمَ من جديد إلى شَجَرَةِ الزَّيتُون أُولئِكَ اليَهُود الذين يُؤمِنُونَ بالمسيح، علينا أن لا نَنسَى أبداً أنَّ أوَّل الأعضاء في كنيسَةِ يسُوع المسيح كانُوا يَهُوداً.

في سِفرِ الأعمال، نقرأُ عن ثلاثَةِ آلافٍ تجدَّدُوا يومَ الخمسين. ثُمَّ نقرَأُ عن آلافٍ تجدَّدُوا في الأيَّامِ والأسابِيعِ التي تَلَت تِلكَ المُعجِزة. وإذ نُتابِعُ القِراءَة، نَجِدُ أنَّ تاريخَ كنيسةِ العهدِ الجديد يستَبدِلُ كلمة "آلاف" بكلمة "جُمُوع". وهكذا أصبَحَتِ الكنيسَةُ تُوصَفُ بأنَّها جُمُوع منَ النَّاس. تَذَكَّرُوا أنَّ كُلَّ آلاف الجُمُوع منَ المُؤمنينَ كانُوا يَهُوداً!

اليَوم نَجِدُهُ أمراً غيرَ إعتِيادِيّ أن يعتَرِفَ شَخصٌ يَهُودِيٌّ بيسُوعَ أنَّهُ المسيَّا، المُخَلِّص، والرَّب. وكما أشَرتُ سابِقاً، من غير المألُوفِ اليوم أن يُصبِحَ يَهُودِيٌّ ما يُسمَّى اليَوم "يهُودِيَّاً مسياوِيَّاً"، أي أن يُصبِحَ مُؤمناً بالمسيح أنَّهُ المَسيَّا. منَ الصَّعبِ بالنِّسبَةِ لهُم أن يُؤمِنُوا بيسُوع المسيح مُخَلِّصاً ورَبَّاً لهُم. هذه إحدى عواقِب العمَى الرُّوحِيّ الذي يُعمِي قُلُوبَ اليهودِ اليَوم. ولكن علينا أن نتذَكَّرَ أنَّ هذا ليسَ مُستَحيلاً. في الإصحاحِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

العاشِر من سفرِ الأعمالِ، كانَ على الرَّبِّ أن يُعطِيَ بُطرُس إعلاناً خارِقاً للطَّبيعَة، ولقد تكرَّرَ هذا الإعلان ثلاثَ مرَّات قبلَ أن يُقنِعَ بُطرُس أنَّهُ بإمكانِ الأُمَمِي أن يتبرَّرَ بالإيمانِ وأن يتجدَّدَ.

بينما نقرَأُ سِفرَ الأعمال، جميعُ المُؤمنينَ الذين نقرَأُ عنهُم نَجِدُ أنَّهُم يَهُود، إلى أن نَصِلَ إلى الإصحاحِ العاشِر من هذا السِّفرِ التَّاريخي للكنيسة. في الجيلِ الأوَّلِ للكَنيسة، اليَهُودُ والأُمَم كانوا كلاهُما تلاميذَ مُخلِصين ليسُوع المسيح. ولقد عَمِلُوا على تعزيزِ وحدَتِهِم أو إتِّحادِهم في المسيح. في بَعضِ الكنائس، مثل كنيسة أنطاكية، عاشَ اليَهُودُ والأُمَمُ معاً وأكلُوا على نفسِ المائِدة (غلاطية ٢: ١١- ١٤). وبما أنَّ اليَهُودَ حافَظُوا بصرامَةٍ على نواميسِ الأكلِ والشُّربِ التي تعلَّمُوها من مُوسى، بينما المسيحيُّونَ الأُمم لم يفعَلُوا ذلكَ، إنعَقَدَ المجمَعُ الكَنَسِيُّ الأوَّلُ لحَلِّ هذه الإختِلافات (أعمال ١٥: ٢٢- ٢٩).

توصَّلَ هذا المجمَعُ الكنَسِيُّ إلى أنَّهُ عندما كانَ الأُمَمِيُّ يُصبِحُ مُؤمِناً بالمسيح، لم يَكُنْ مطلُوباً منهُ أن يعيشَ كَيَهُودِيٍّ لمُجَرِّدِ أنَّ رَبَّهُ ومُخَلِّصَهُ يسُوع كانَ يَهُودِيّاً. يبدُو هذا مُثيراً للإهتِمامِ، عندما نتأمَّلُ بما كتبَهُ بُولُس للغَلاطِيِّين – أن أتباعَ المسيح ذوي الإيمان الحقيقيّ، هُم يَهُودٌ بالمَعنَى الرُّوحِيّ للكلمة، أو أنَّهُم أبناءُ إبراهيم، لأنَّهُم يتمتَّعُونَ بالإيمان نَفسِهِ الذي كانَ يتمتَّعُ بهِ إبراهيم (غلاطية ٣: ٢٩).

عندَما كانَ اليَهُودِيُّ يُصبِحُ تلميذاً ليسُوع المسيح، لم يَكُن يُطلَب منهُ أن يترُكَ هُوِيَّتَهُ كيَهُودِيّ، ولا أن يتخلَّى عن مُمارَساتِهِ وعادَاتِهِ اليَهُوديَّة في الأكلِ والشُّرب. بينما كانَ المُؤمِنُونَ منَ الأُمَم يُعتَبَرُونَ رُوحيّاً يَهُوداً، فإنَّ هؤُلاء اليَهُود المَسياوِيِّين يُعتَبَرُونَ يَهُوداً مُكَمَّلِين. يُسَجِّلُ هذا الإصحاحُ غيرُ الإعتِيادِيّ إعلاناً نَبَوِيّاً أعطاهُ اللهُ لهذا الرَّسُول.

المقطَع الذي تأمَّلنا بهِ للتَّوّ، والأعدادُ المَوجُودَةُ في هذا الإصحاح الحادِي عَشَر التي ندرُسُها، تجعَلُ من أُمَّةِ إسرائيل مُعضِلَةً وأُحجِيَةً كتابِيَّة، لاهُوتيَّة، سِياسيَّة وعالَمِيَّة. خلالَ قِراءَتِنا لهذا الإصحاح، معَ مَيلِهِ الواضِح تجاهَ قِيمَة أغصان شَجَرَةِ الزَّيتُون الطَّبيعيَّة، والتي هي قَريبَةٌ منَ أغصان الزَّيتُون البَرِّيَّة من بينَ تلاميذ يسُوع المسيح المُقام غير اليَهُود، وهذه النُبُوَّة عن رُجُوعِ اليَهُود رُوحِيّاً للرَّبّ، نجدُ هذا تحَدِّياً لإيمانِنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

لدينا أنا وزوجَتي واحِدَة من بناتِنا عاشَت خمس سنوات في الضِّفَّةِ الغَربِيَّة وقِطاع غَزَّة في فلسطين. ولقد أعطَتها خُبرَتُها في العَمَلِ هُناكَ مع مُؤسَّسَةٍ إنسانِيَّة في أُورشَليم، هي الرُّؤيا العالميَّة، والتي كانَت تهدِفُ إلى تزويدِ الفَلسطينيِّينَ المَظلُومين بالمُساعَدات، أعطَت هذه الخُبرَة لإبنَتِنا ولنا كوالِدَيها أيضاً، أعطَتنا بَصيرَةً وفهماً للطُّرُق العسكَريَّة القاسِية التي يستَخدِمُها الإسرائيليُّونَ معَ الشَّعبِ الفلسطينيّ. علينا أن نعتَرِفَ أنَّنا نجِدُ في ذلكَ تَحَدِّياً لإيمانِنا بأن ننظُرَ إلى أُمَّةِ إسرائيل المُعاصِرَة من خلالِ قَلبِ بُولُس وتثَقُّلِهِ والإعلان النَّبَوِيّ الذي أُعلِنَ لهُ ولأنبياء آخرين. بإمكانِنا القَول بتأكيدٍ أنَّ كُلَّ نُبُوَّةٍ لم تَتَحقَّق بعد، ونحنُ نتطلَّعُ بِشَوقٍ إلى رُؤيَةِ رُجُوعِ شعب إسرائيل رُوحيَّاً إلى الله.

منَ الواضِحِ أنَّهُ، وبإستِثناءِ اليَهُود المَسياوِيِّين، يهُود اليَوم، بِحَسَبِ بُولُس الرَّسُول، ليسُوا شعبَ اللهِ المُختار. بل هُم الأغصانُ المَكسُورَة أو المقطُوعة (رُومية ١١: ١٧، ٢١). ولكن بالإيمان نستَطيعُ أن نُؤمِنَ أنَّ اللهَ سيُحَقِّقُ كلِمَتَهُ حيالَ إسرائيل، في وقتِهِ وطريقَتِهِ.

أعظَم سُخرِيَة في الكتابِ المُقدَّس

في هذه الأعداد التي تأمَّلنا بها الآن، يكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّ إسرائيل الآن هي إحدى أعظَم السُّخريات والتَّناقُضات في الكتابِ المُقدَّس. إنَّها لَسُخرِيَةٌ كِتابِيَّةٌ مُدهِشَة أنَّ أبناءَ إبراهيم بالطَّبيعة، حتَّى ولو حافَظُوا على سَعيهِم بالبِرِّ الذَّاتِي نحوَ الله، ولكنَّهُم لم يَجِدُوا الله. لم يَجِدُوا اللهَ الذي كانُوا يبحَثُونَ عنهُ لأنَّهُم آمنُوا، ولا يزالُونَ يُؤمنُونَ، أنَّ اللهَ يُمكِنُ إيجادُهُ من خلالِ بِرِّهم الذَّاتِيّ، الذي يتحقَّقُ من خلالِ تعصُّبِهم وجُهُودِهم الدِّينيَّة.

حتَّى هذه النُّقطَة، كانَ بُولُس يستَخدِمُ كلمَةَ اللهِ بالإضافَةِ إلى العقل، ليُقدِّمَ خمسَةَ أسبابٍ لأجلِها يُؤمِنُ بُولُس بتَوبَةِ وعَودَةِ إسرائيل رُوحيَّاً. وها هُوَ الآن يُتابِعُ بإستِخدامِ كَلِمَةِ الله، ولكنَّهُ يَصِفُ كيفَ سيتحقَّقُ هذا السِّرّ المُعجِزَة. كُلُّ ما كتبَهُ بُولُس في الإصحاحاتِ التَّاسِع، العاشِر، والأعداد الأربَعة والعِشرين الأُولى منَ الإصحاح الحادِي عشَر، ما هُوَ إلا تحضيرٌ لما سيُخبِرُنا بهِ الآن. يَقُولُ، "فإنِّي لَستُ أُريدُ أيُّها الإخوَة أن تَجهَلُوا هذا السِّرَّ. لِئلا تَكُونُوا عندَ أنفُسِكُم حُكَماء. أنَّ القَساوَةَ قد حَصَلَت جُزئِيَّاً لإسرائيل إلى أن يدخُلَ مِلءُ الأُمَم. وهكذا سيخلُصُ جميعُ إسرائيل. كما هُوَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

مكتُوبٌ سيَخرُجُ من صِهْيَون المُنقِذُ ويَرُدُّ الفُجُورَ عن يعقُوب. وهذا هُوَ العَهدُ من قِبَلِي لهُم متى نزَعتُ خطاياهُم." (إشعياء ٥٩: ٢٠، ٢١)

"من جِهَةِ الإنجيل هم أعداءٌ من أجلِكُم. وأمَّا مِن جِهَةِ الإختِيارِ فهُم أحِبَّاءُ من أجلِ الآباء. لأنَّ هِباتِ اللهِ ودعوَتَهُ هي بِلا ندامَة." (رُومية ١١: ٢٥- ٢٩)

العددُ الأوَّلُ في هذا المقطَع المُمَيَّز من كَلِمَةِ الله هو حيثُ يُشيرُ بُولُس إلى الطَّريقَة التي بها رفضَ شعبُ إسرائيل الإنجيلَ كَسِرٍّ. وكما أشَرتُ سابقاً، كَلِمَة "سِرّ" حيثُ نَجِدُها في الكتابِ المُقدَّس، تَصِفُ المُعجِزَة بأنَّها ستَكُونُ مُمكِنَةً فقط بقُوَّةٍ خارِقَةٍ للطَّبيعة منَ اللهِ القادِرِ على كُلِّ شَيء. فالسِّرُّ الكِتابِيُّ أو المُعجِزَةُ الكِتابِيَّةُ لا يُمكِنُ تفسيرُها بالوسائِل الطَّبيعيَّة والمُلاحظة الطَّبيعيَّة من قِبَلِ الإنسان الذي لا يستَطيعُ أن يرى ما يعمَلُهُ اللهُ خلفَ السِّتار، إبَّانَ قِيامِ اللهِ بهذه المُعجزَة. هذا السِّرّ/ المُعجِزة هوَ حَدَثٌ خارِقٌ للطَّبيعَة، وينبَغي أن يُعلَنَ لنا، وإلا فلَن نفهَمَ أبداً ما يعمَلُهُ اللهُ في هذا الحَدَث.

بُولُس وأنبياءُ العهدِ القَديم يتنبَّأُونَ بلُغزٍ سِرِّي يتعلَّقُ بإسرائيل، والذي سَوفَ يُعلَنُ بطريقَةٍ ما. هذا السِّرّ هُوَ تَوبَةُ أو رُجُوع إسرائيل رُوحيَّاً كَأُمَّة، وهذا الرُّجُوع الرُّوحيّ يُصَنَّفُ بالتَّأكيدِ كسِرٍّ، بحَسَبِ الطَّريقَتَين التي يستَخدِم الكتاب المُقدَّس بهما هذه الكلمة.

البُعدُ الأوَّلُ لهذا السِّرّ هُوَ مُقاوَمَتُهُ للإنجيل. إن كُنتُم قد حاوَلتُم مَرَّةً بأن تُقدِّمُوا شهادَةً أو تبشيراً شفَهِيَّاً لأحدِ اليَهُود، لرُبَّما تكُونُونَ قد واجَهتُم عندَهم هذا النَّوع منَ المُقاوَمة للإنجيل. بِحَسَبِ بُولُس، مُقاوَمَتُهُم للإنجيل هي سِرٌّ. فاللهُ سمحَ بطريقَةٍ خارِقَةٍ للطَّبيعَة بأن يُصيبَ العَمَى الرُّوحِيّ إسرائيل، وأن يُفَسِّرَ عمَلُ سِرِّ اللهِ هذه المُقاوَمَة الشامِلَة من قِبَلِ اليَهُود، عندما يُقدَّمُ لهُم الإنجيل.

قد نَظُنُّ أنَّهُم يَئِسُوا من مُحاولاتِهِم عبرَ القُرُون بأن يُخَلِّصُوا أنفُسَهُم، لدرَجَةِ أنَّهُم أصبَحُوا مُهَيَّئِينَ أكثَرَ منَ اللازِم ليسَمَعُوا كيفَ يُمكِنُ لرحمَةِ اللهِ أن تحجُبَ عنهُم ما يستَحِقُّونَهُ بِسَبَبِ خطاياهُم. قد نَظُنُّ أنَّهُم مُستَعِدُّونَ، لا بَل مُتَشَوِّقُونَ ليَسمَعُوا كيفَ سيُغدِقُ اللهُ نعمَتَهُ عليهِم ويُعطيهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

القُوَّةَ ليُصبِحُوا خلائِقَ جديدَةً بالمسيح، ولِيَعمَلَ فيهم ومن خلالِهم ما لا يُمكِنُهُم أن يعمَلُوهُ بأَنفُسِهِم.

لقد وجدَ بُولُس غَلَبَتَهُ من خلالِ المسيح. ولكن ليُفَعِّلَ هذه الغَلَبَة في رحلَةِ حياتِهِ وإيمانِهِ، كانَ ينبَغي أن يُحدِثَ اللهُ تدَخُّلاً خارِقاً للطَّبيعَة من قِبَلِ المسيحِ الحَيِّ المُقام في حياةِ هذا الإنسان. فأخذَهُ الرَّبُّ إلى صحراءِ العَرَبِيَّة، لمُدَّةٍ لا تَقِلُّ عن الثَّلاثِ سنواتٍ، ليُعَلِّمَهُ اللاهُوتَ الذي كتبَ عنهُ في هذه الرِّسالَة إلى أهلِ رُومية (غلاطية ١: ١١- ٢٠)

الحاجَةُ لهذا التَّدخُّلُ ونتائِجُهُ هي واضِحَةٌ خاصَّةً عندما نقرَأُ في الإصحاحَين السَّابِع والثَّامِن من هذه الرِّسالَة، سَردَ بُولُس الصَّادِق والشَّفَّاف عن الصِّراع الذي خاضَهُ معَ الخطيَّة والبِرّ الذَّاتِي. اليَهُودُ الذين كانَ بُولُس مُثَقَّلاً لأجلِهِم عبرَ كُلِّ هذه الرِّسالَة، لم يتمتَّعُوا بالفوائِد المُبارَكَة التي إختَبَرَها بُولُس عندما إلتَقى بالمسيح المقام الذي أصبحَ قائِدَهُ.

رُغمَ أنَّ بُولُس يُؤمِنُ بِوُضُوحٍ أنَّ النَّهضَة الرُّوحِيَّةَ لا بُدَّ آتِيَة على اليَهُود، ولكنَّهُ يُشَدِّدُ أيضاً على العمَى الرُّوحِيّ الذي أسدَلَهُ اللهُ على عُيُونِ هَؤُلاء اليَهُود، بِحَسَبِ بُولُس. وهُوَ يُقدِّمُ ثلاثَ مُلاحَظاتٍ عن هذا العَمَى. مُلاحَظَتُهُ الأُولى هي أنَّ العَمَى الرُّوحي هُوَ جُزئِيّ إلى أن يكمُلَ مِلءُ الأُمَم، أي إلى أن يأتُوا إلى الإيمانِ بالمسيح. وهُوَ يقصُدُ بهذا ما أَشرتُ إليهِ مِراراً – أنْ ليسَ كُلّ اليَهُود سيَختَبِرُونَ هذا العَمَى الرُّوحِيّ.

مُلاحَظَتُهُ الثَّانِيَة هي أنَّ هذا العَمى الرُّوحِيّ سيَكُونُ لمَرحَلَةٍ مُؤَقَّتَة. وإنسجاماً معَ نُبُوَّتِهِ عن تَوبَةِ ورُجُوع اليَهُود رُوحِيَّاً، يكتُبُ أنَّ هذا العَمَى الرُّوحِيّ والمُقاوَمة للإنجيل من قِبَلِ اليَهُود، لن يدُومَ إلى الأبد. رُغمَ أنَّ هذا إستَمَرَّ لعِشرينَ قرناً، ولكن عندما يتنبَّأُ بُولُس عن هذا العمَى بأنَّهُ سيَكُونُ (إلى أن يدخُلَ مِلؤُ الأُمَم) (رُومية ١١: ٢٥)، فهُوَ لا يُشيرُ إلى عددٍ مُحَدَّدٍ منَ الأُمَم سيَتُوبُونَ ويتجدَّدُون. إنَّ كَلِمَة ملء تُستَخدَمُ أيضاً في العددِ الثَّانِي عشَر منَ هذا الإصحاح. هُناك تُشيرُ الكلمة إلى مِلء اليَهُود: "فإن كانَت زَلَّتُهُم غِنَىً للعالَم ونُقصانُهُم غِنَىً للأُمَم، فكَم بالحَرِيِّ مِلؤُهُم." (١١: ١٢)

هذا السُّقُوطُ والفَشَلُ يُشيرانِ إلى تدمير أُورشَليم من قِبَلِ الجُيُوش الرُّومانِيَّة بعدَ صُعُودِ المسيح بأربَعين عاماً. ولقد تغَيَّرَت العِبادَةُ اليَهُودِيَّةُ بِعُمقٍ بِفعلِ هذا الحَدَث الرَّهيب. فلم يَعُدْ لدَيهم علاقَة عِبادَة معَ الله،كتلكَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

التي تمتَّعُوا بها عبرَ التَّاريخ بعدَ أن شتَّتَهُم حدَثُ تدميرِ أُورشَليم إلى كُلِّ أُمَمِ الأرض. عندما يُشيرُ بُولُس إلى مِلءِ الأُمم، يقصُدُ بذلكَ مِلؤُهم الرُّوحِيّ. وهُوَ يستَخدِمُ الكلمَةَ نفسَها بِنَفسِ الطَّريقَة هُنا، عندما يُشيرُ إلى مِلءِ الأُمَم، الأمرُ الذي يضَعُ علامَةً لنهايَةِ هذه الحقبَة منَ العَمَى الرُّوحِيّ عندَ اليَهُود.

أنا أجِدُ هذا الأمرَ تحدِّياً ومَدعاةً للدَّهشَة. جوهَرُ هذه النُّبُوَّة هُوَ أنَّهُ عندَما تختَبِرُ كنيسةَ المسيح الأُمَمِيَّة المِلءَ الرُّوحِيّ، فإنَّ هذا سيُثيرُ غَيرَةَ اليَهُود، لدَرَجَةِ أنَّهُم سيَقُولُونَ مُتعجِّبينَ: "هذا ما ينبَغي أن نختَبِرَهُ نحنُ!" معَ الأسَف، لم يُوجَدْ إلا القَليل منَ التَّاريخِ الكَنَسِيّ الذي يُسَجِّلُ العمَى الرُّوحِيّ عندَ اليَهُود، والذي يغلُبُهُ المِلءُ الرُّوحِيُّ لكَنيسَةِ المسيح المُقام. تاريخُ الكنيسة مَلِيءٌ بالأمثِلَةِ عن النَّقيضِ المُباشَر لهذه المُعجِزَة. خلالَ الحُرُوب الصَّليبيَّة البغيضة، قامَ الذين سَمُّوا أنفُسَهُم صليبيّين بِذَبحِ اليَهُودِ بإسمِ المسيح.

النُّبُوَّةُ غيرُ الإعتِيادِيَّة من بُولُس ومن أنبياءِ العهدِ القَديم هي نُبُوَّةٌ ذات بُعدَين. فتوبَةُ ورُجُوعُ إسرائيل رُوحِيّاً هي الجزءُ الواضِحُ والبارِزُ من هذه النُّبُوَّة. ولكنَّ البُعدَ الآخر من هذه النُّبُوَّة، الأكثَر إثارَةً للإهتِمام هو أنَّ ملءَ الكنيسة رُوحيّاً هُوَ علامَةٌ مُعجِزِيَّةٌ مُتَوَقَّعَة، ستُمَيِّزُ نهايَةَ هذا العَمَى الرُّوحي الذي أسدَلَهُ اللهُ على أعيُنِ اليَهُود. فمِلءُ اليَهُودِ سيَتبَعُ تجاوُباً معَ كنيسَةٍ مُقتَدِرَةٍ ومُتَجَدِّدَة، بحِسَبِ هذه النُّبُوَّة.

وها قد بدأنا نرى بعضَ علاماتِ هذه النُّبُوَّة ذات الوجهَين، التي بدأت تتحقَّقُ اليوم. أجمَلُ إختِبارٍ لدَيَّ في قيادَةِ شَخصٍ يَهُودِيٍّ للإيمانِ بالمسيح، تطلَّبَني سنتين منَ الصَّداقَة، ومجمُوعَة من عشرينَ شخصاً أو أكثَر بالإضافَةِ إلى زوجاتِهم، منَ الذين كانُوا يلتَقُونَ معي ومع زوجَتي، فأحَبُّوا هذا الصَّديق اليَهُودِي وزوجَتَهُ بمحبَّةِ المسيح. وبالنتيجة، بعدَ أن آمنَ هذا الرَّجُلُ اليَهُوديُّ بالمسيح، أسَّسَ مجمَعاً مَسياوِيّاً، حيثُ إستَطاعَ أن يأتِيَ بالكثيرِ منَ اليَهُودِ إلى الإيمانِ بالمسيح بأنَّهُ هُوَ المَسيَّا، المُخَلِّص، والرَّبّ.

لقد أصبحَ هذانِ الزَّوجانِ اليَهُودِيَّانِ مُؤمِنَين، لأنَّهُما شعراَ بالغَيرَةِ الرُّوحِيَّة من حقيقَةِ أنَّ اللهَ والمسيحَ في محبَّةِ وحياةِ تلاميذِ يسُوع الأتقِياء،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الذين أحبُّوهُما بالإيمان. لقد شاهَدتُ هكذا أشياءَ تحدُثُ على الأقلّ ستَّ مرَّاتٍ أُخرى كراعي كنيسة. ولكنَّني مُقتَنِعٌ أنَّ ما تنبَّأَ بهِ بُولُس، إلى جانِبِ أنبِياءِ العهدِ القَديم، ليسَ عن مُجَرَّدِ قِلَّةٍ منَ اليَهُود يُؤمِنُونَ بالمسيح. إنَّها نُبُوَّةٌ عن تحوُّلٍ قَومِيٍّ نحوَ اللهِ والمسيح من جانِبِ الشَّعبِ اليَهُوديّ بكامِلِهِ.

يَقُولُ الأنبِياءُ، "ويأتي الفادِي إلى صِهيَون وإلى التَّائِبينَ عنِ المَعصِيَةِ في يَعقُوب يَقُولُ الرَّبّ. أمَّا أنا فهذا عهدِي معَهُم قالَ الرَّبُّ. [متى نزعتُ خطاياهُم]". (إشَعياء ٥٩: ٢٠- ٢١) يُعَبِّرُ إرميا عن هذا بِأكثَرِ تفصيلٍ، عندما يكتُبُ قائِلاً: "بَل هذا هُوَ العهدُ الذي أقطَعُهُ معَ بيتِ إسرائيل بعدَ تلكَ الأيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ. أجعَلُ شَريعَتي في داخِلِهِم، وأكتُبُها على قُلُوبِهِم، وأكُونُ لهُم إلهاً وهُم يكُونُونَ لي شَعباً. ولا يُعَلِّمُونَ بعدُ كُلُّ واحِدٍ صاحِبَهُ وكُلُّ واحِدٍ أخاهُ قائِلينَ إعرِفُوا الرَّبَّ. لأنَّهُم كُلَّهُم سيعرِفُونَني من صَغيرِهِم إلى كَبيرِهِم يَقُولُ الرَّبُّ. لأنِّي أصفَحُ عن إثمِهِم ولا أذكُرُ خَطِيَّتَهُم بعدُ." (إرميا ٣١: ٣٣- ٣٤).

هُناكَ أمرانِ يُريدُنا بُولُس أن نتذَكَّرَهُما عن اليَهُود: اللهُ يُحِبُّهُم، واللهُ لم ينتَهِ بعدُ منَ العَمَلِ معَهُم، لأنَّ دَعوَةَ اللهِ وهِباتُهُ هي بلا ندَامَة. أكثر من مرَّة، طرَحَ بُولُس السُّؤال، "ألعلَّ اللهَ فَشِلَ؟" أو "ألَعَلَّ الله رَفَضَ شَعبَهُ؟" في هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَة، جوابُ بُولُس الواضِح هُوَ "حاشا!" فهُوَ يُريدُ أن تعرِفَ الكنيسَةُ الأُمَمِيَّةُ أنَّهُ "من جِهَةِ الإنجيل [اليَهُودُ] أعداءٌ من أجلِكُم. وأمَّا من جِهَةِ الإختيارِ فهُم أحِبَّاءُ من أجلِ الآباء." (رُومية ١١: ٢٨) بكلماتٍ أُخرى قد يَكُونُونَ أعداءَ الإنجيل اليَوم، ولكنَّ اللهَ يُحِبُّهُم ولم يُنهِ عمَلَهُ معَهُم.

يتنبَّأُ بُولُس عن ستراتيجيَّةِ إثارَةِ غيرَةِ إسرائيل، من خلالِ التَّأثيرِ على سائِرِ الأُمَمِ بإنجيلِ المسيح، عندما يكتُبُ قائِلاً: "فإنَّهُ كما كُنتُم أنتُم مرَّةً لا تُطيعُونَ اللهَ ولكنِ الآنَ رُحِمتُم بِعِصيانِ هؤُلاء، هكذا هَؤُلاء أيضاً الآنَ لم يُطيعُوا لِكَي يُرحَمُوا هُم أيضاً بِرحمَتِكُم. لأنَّ اللهَ أغلَقَ على الجميع معاً في العِصيان، لكَي يرحَمَ الجميع." (رُومية ١١: ٣- ٣٢)

ثُمَّ يختُمُ هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَة بإقتِباسٍ من إشَعياء، الذي يُشَكِّلُ بركَتَهُ على كُلِّ ما كتَبَهُ في هذه الرِّسالَة، منَ الكلمةِ الأُولى، ولكن خاصَّةً على كُلِّ ما كتبَهُ عن إسرائيل، فيقُول: "يا لَعُمقِ غِنَى اللهِ وحكمَتِهِ وعِلمِهِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

ما أبعَدَ أحكامَهُ عنِ الفَحصِ وطُرُقَهُ عنِ الإستِقصاء. لأنْ من عرفَ فِكرَ الرَّبِّ أو من صارَ لهُ مُشيراً. أو من سَبَقَ فأعطاهُ فيُكافَأ. لأنَّ مِنهُ وبِهِ ولهُ كُلُّ الأشياء. لهُ المَجدُ إلى الأبدِ. آمِين." (رُومية ١١: ٣٣- ٣٦)

البَرَكَةُ التي يستَعيرُها بُولُس من إشعياء تُثيرُ بضعَةَ أسئِلَةٍ جَيِّدة. ما هُو مِقدارُ معرِفَةِ الله؟ هل يعرِفُ اللهُ ما يعمَلُ حيالَ ما يعلَمُ؟ هل يعلَمُ أحَدٌ بِحَقٍّ فِكرَ الله؟ هل منَ المُمكِنِ أن نبحثَ، نفهَمَ، أو نتساءَلَ عن دَينُونَةِ الله؟ وهل هُناكَ من هُوَ مُخَوَّلٌ ليَكُونَ مُشيراً لله؟ وهل اللهُ مَدينٌ لأَيٍّ كان بأَيِّ شَيءٍ؟ وهل يُوجَدُ كائِنٌ بَشَرِيٌّ ضحَّى من أجلِ اللهِ فأدانَهُ؟

الأجوبَةُ على هذه الأسئِلَة هي واضِحَةٌ لدَرَجَةِ أنَّها مُضحِكَةٌ تقريباً. فبَعدَ التَّعامُلِ معَ القَضايا في هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَةِ الأخيرة من هذا القِسمِ التَّعليميّ المأخُوذ من هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة، نَجِدُ أنَّ هذه الأسئِلة والأجوبَة مُناسِبَةٌ تماماً. فاللهُ يعرِفُ كُلَّ شَيء. وبما أنَّ الحِكمَةَ هي تطبيقُ ما نعرِفُ، فاللهُ يعرِفُ بالتأكيد ما ينبغي أن يعمَلَ حيالَ ما يعلَم. اللهُ هُو مصدَرُ كُلِّ حِكمَةٍ، ولهذا فحكمَتُهُ كامِلَة. وبما أنَّ دينُونات أو أحكام الله، أو أعمالَهُ هي تعبيرٌ عن معرِفَتِهِ اللامُتناهِيَة وحِكمَتِهِ الكامِلَة، فإنَّ التَّشكيلَ بأعمالِ اللهِ هُوَ أمرٌ لا يُعقَل. فاللهُ غيرُ مَدينٍ لأَيٍّ كان بأَيِّ شَيء.

يُحَضِّرُنا هذا لبَرَكَةِ بُولُس على كُلِّ ما كتبَهُ في هذه الرِّسالَة. تأمَّلُوا بهذه الرِّسالَة بكامِلِها، ولا سِيَّما بوُجهَةِ النَّظَر حولَ العنايَةِ الإلهيَّةِ التي بدأَ بُولُس بالتَّحَدُّثِ عنها في الإصحاحِ الثَّامِن، وإستَمَرَّ عبرَ هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَة الأخيرة، خلالَ قراءَتِكُم لهذه البركة الختامِيَّة: "لأنَّ مِنهُ وبِهِ ولهُ كُلُّ الأَشياء. لهُ المَجدُ إلى الأبد. آمين." (١١: ٣٦).

يُصَرِّحُ بُولُس بِبَساطَةٍ أنَّ اللهَ هُوَ مَصدَرُ كُلِّ الأشياء. اللهُ هُوَ القُوَّة الكامِنَة خلفَ كُلِّ الأشياء، ومجدُ اللهِ هُوَ القصدُ من كُلِّ الأشياء. عندما يستَخدِمُ بُولُس هاتَينِ الكَلِمَتَين، "كُلّ الأشياء،" في هذه البَرَكَة، يقصُدُ أنَّ اللهَ هُوَ المصدَر، القُوَّة الدَّافِعة، ومجدُ اللهِ هُوَ الهدَفُ من كُلِّ ما شارَكَهُ معنا في هذا الرِّسالَة، خاصَّةً ذلكَ المقطَع منَ الإصحاحِ الثَّامِن الذي أوصلهُ إلى هذه الإصحاحاتِ الثلاثَة.

ينبَغي أن تُصبِحَ هذه البَرَكَة تعريفاً للدَّعوَةِ الإرساليَّة لِكُلٍّ منَّا، بينما نَقُومُ بإتِّخاذِ قراراتٍ مبنِيَّةٍ على الأولَوِيَّات، حيالَ الطريقَة التي بها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

سنستخدِمُ وقتَنا، طاقَتنا، مواهِبَنا وكُلّ المصادر التي أوكَلَنا اللهُ عليها. علينا أن نتَّخِذَ قراراً أو حُكماً ذَا قيمَةٍ تقُولُ أنَّنا لا نُريدُ أن نبذُلَ نُفُوسَنا بالإنخِراطِ بأيِّ شَيءٍ إلا إذا إستَطعنا القَول أنَّ اللهَ هُوَ منبَعُ هذا البَذل. لا ينبَغي علينا أن ننخَرِطَ في هدَفِ أيَّةِ مُهِمَّةٍ إلا إذا عرَفنا أنَّ اللهَ سيَكُونُ القُوَّةَ الكامِنَةَ خلفَ هذه الفُرصَة للخدمة. الحياةُ هي أقصَرُ وأثمَنُ جدَّاً من أن نُبَدِّدَها أو نُضَحِّيَ بها لأيِّ شَيءٍ، إلا عندَما نَستَطيعُ القَولَ عنهُ أنَّ مجدَ اللهِ هُوَ القَصدُ من هذا الشَّيء.

لقد أَشَرتُ مراراً لكَونِنا ينبَغي أن نتَجاهَلَ تقسيماتِ الإصحاحات، والتي لم تَكُنْ مَوجُودَةً في الرِّسالَةِ الأصليَّة التي كتبَها بُولُس للمُؤمنينَ في رُوما. هذه التَّقسيمات تمَّ ترتيبُها في القَرنِ الثَّالِث عشَر، وكثيراً ما قاطَعت سياقَ الفِكرِ المُوحَى عندَ بُولُس الرَّسُول – خاصَّةً في رسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية. يَصِحُّ هذا بالتَّحديد عندما يختُمُ بُولُس هذا الإصحاح الحادِي عشَر، ويبدَأُ الإصحاحَ الثَّانِي عشَر بحرفِ العَطفِ "فَ." تقسيمُ هذا الإصحاح قد يكُونُ أسوأَ مُقاطَعَةٍ لمَنطِقِ بُولُس المُوحى، من بَين كُلِّ رسائِلِهِ في العهدِ الجديد.

هذه البَركَةُ الرائِعة التي إستَعارَها بُولُس من إشَعياء، كانَ لا بُدَّ أن يتبَعها مُباشَرَةً الأعدادُ التَّالِيَة: "فأطلُبُ إليكُم أيُّها الإخوَة برأفَةِ اللهِ أن تُقَدِّمُوا أجسادَكُم ذَبيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرضِيَّةً عندَ الله عِبادَتَكُم العَقلِيَّة، ولا تُشاكِلُوا هذا الدَّهر، بَل تَغَيَّرُوا عن شَكلِكُم بِتَجديدِ أذهانِكُم لتَختَبِرُوا ما هي إرادَةُ اللهِ الصَّالِحةُ المَرضِيَّةُ الكامِلَة." (رُومية ١٢: ١، ٢)

الأشخاصُ الذينَ نظَّمُوا العهدَ الجديد، وضَعُوا تقسيمَ الإصحاحِ هُنا، لأنَّ كُلَّ رَسائِلِ بُولُس الرَّسُول تنقَسِمُ إلى جزئَين. فهُناكَ دائماً الجزء التَّعليميّ، ومن ثَمَّ يأتي الجزء التَّطبِيقيّ في رسائِلِ بُولُس الرَّسُول. ولكن، في هذه الحالَة، حرف العَطف "ف" يُقَدِّمُ للتَّطبيقِ التَّفسيرَ الوحيد المَنطِقِي والحَكيم، الذي يُمكِنُنا أن نستَخلِصَهُ من بَرَكَتِهِ الجليلَة.

بما أنَّ اللهَ يعرِفُ كُلَّ شَيء، ولدَيهِ حِكمَةٌ كامِلَة، وبما أنَّ أعمالَهُ مُؤَسَّسَةٌ على معرِفَتِهِ وحكمَتِهِ الكامِلَتَين، وبما أنَّهُ لا يحتاجُ إلى مَشُورَةٍ من إنسانٍ، وبما أنَّهُ غَيرُ مَدينٍ لأحَدٍ بأيِّ شَيء؛ فإن كانَ اللهُ هُوَ المَصدَر،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

والقُوَّة الكامِنَة خلفَ كُلِّ الأشياء، وإن كانَ مجدُهُ هُوَ القصدُ من كُلِّ الأشياء، فمِنَ المَنطِقِيِّ أن نُسَلِّمَ للهِ حياتَنا بِكُلِّيَّتِها بِدُونِ شُرُوط.

عندما ينتَهِي بُولُس من الجزءِ العقائِدي التَّعليميّ من هذه الرِّسالَة، في نهايَةِ الإصحاحِ الحادِي عَشَر، وبينما يبدَأُ الجزءَ التَّطبيقيَّ من رِسالَتِهِ، نَجِدُهُ يُلحِقُ بِحرفِ العَطفِ "فَ" بتوسُّلٍ شَديدٍ من قِبَلِهِ كرَسُول. هذا التَّوسُّل الشَّديد مُوجَّهٌ لأُولئِكَ الذينَ فَهِمُوا كُلَّ تعليمِهِ، إذ يطلُبُ منهُم أن يرفَعُوا أيدِيَهُم وأن يُقَدِّمُوا للهِ تطبيقَ تسليمٍ غير مَشرُوط، لإرادَتِهِ الصَّالِحَة، المَرضِيَّة، والكامِلَة.

يُسَمِّي بُولُس هذا التَّسليم غير المَشرُوط بأنَّهُ التَّطبيقُ الوحيدُ المَعقُول لكُلِّ ما كتَبَهُ حتَّى الآن، رُجُوعاً إلى الإصحاحِ الأوَّل، الذي بإمكانِهِ أن يَكُونَ مقبُولاً لدى الله. إنَّهُ أيضاً تلكَ العبادَة العقليَّة، الواعِيَة عندَ أُولئكَ الذين آمنُوا بِقُلُوبِهِم وإعتَرَفُوا بأفواهِهِم أنَّهُم يُؤمِنُونَ بيسُوعَ كَرَبّ. هذه بِبَساطَةٍ طريقَةٌ أُخرى للإعتِرافِ بأنَّ يسُوعَ هُوَ رَبٌّ.

جَوهَرُ هذا التَّطبيق يُمكِنُ تفسيرُهُ وتلخيصُهُ وكأنَّ بُولُس يَقُولُ ما معناهُ: "إن كانَ يسُوع المسيح يعني أيَّ شَيءٍ بالنِّسبَةِ لكَ، عندها يَكُونُ يسُوعُ كُلّ شَيء بالنِّسبَةِ لكَ، لأنَّهُ إن لم يُصبِحْ يسُوع كُلَّ شَيءٍ بالنِّسبَةِ لكَ، فهذا يعني أنَّهُ لا يعني لكَ شَيئاً. إن كُنتَ تُؤمِنُ بكُلِّ ما كتبتُهُ هُنا، سَلِّمْ نفسَكَ للمسيحِ بِدُونِ شُرُوطٍ، وإسألْهُ ذلكَ السُّؤال الذي بدأتُ بهِ رِحلَةَ إيمانِي الرُّوحيَّة معَ المسيح، "يا رَبُّ، ماذا تُريدُ منِّي أن أفعَلَ؟" (أعمال ٩: ٦)

هُناكَ الملايينُ منَ الذين يعتَرِفُونَ بإيمانِهِم بيسُوع كمُخَلِّصٍ لهُم، ولكن مُجَرَّدَ الإعتِراف بأنَّ يسُوعَ هُوَ رَبٌّ هُوَ شَيءٌ قد يعيشُونَهُ أو قد لا يَعيشُونَهُ لاحِقاً في حياتِهِم. إن كُنتُم تقرَأُونَ أناجيلَ العهدِ الجديد، أو رَسائِلَ الرُّسُل، بِذهنٍ مُنفَتِح، عليكُم أن تستَنتِجُوا أنَّ يسُوعَ ينبَغي أن يُعتَرَفَ بهِ كرَبٍّ وأن يُؤمَنَ بهِ كَمُخَلِّص. كثيرُونَ يُريدُونَ مُخَلِّصاً، ولكنَّهُم لا يُريدُونَ رَبّاً يتوجَّبُ عليهِم أن يستَسلِمُوا لهُ كُلِّيّاً.

نحنُ أيضاً لم نتعلَّمَ أن نقبَلَ يسُوعَ كمُخَلِّصِنا. فرَسائِلُ الرُّسُل تُخبِرُنا أنَّ اللهَ أعطانا إبنَهُ، لكَي نُصبِحَ مقبُولينَ في المَحبُوبِ يسُوع (أفسُس ١: ٦). أُولئكَ الذين يكتَفُونَ بِقُبُولِ يسُوع كمُخَلِّص، يحتاجُونَ أن يتفحَّصُوا بعنايَةٍ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

تحريضاتِ بُولُس المُشار إليها أعلاهُ، والتي معها يبدَأُ الجزءَ التَّطبيقيَّ في هذه الرِّسالَة.

يظهَرُ سُؤالٌ آخر عندما نُطَبِّقُ هذه الوَصفَة للخلاص. هذا السُّؤالُ هُو، "كيفَ نعتَرِفُ بأفواهِنا أنَّنا نُؤمِنُ بقُلُوبِنا بمَوتِ وقيامَةِ يسُوع لأجلِ خلاصِنا؟" الجوابُ المألُوفُ على هذا السُّؤال هُوَ أنَّنا نتجاوَبُ معَ دَعوَةٍ عامَّةٍ يُقدِّمُها مُبَشِّرٌ في إجتماعٍ تبشيريٍّ عام. الملايينُ طبَّقُوا ولا يزالُونَ يُطَبِّقُونَ هذه الوَصفَة بهذه الطريقة، أي بنعمَةِ وقُوَّةِ اللهِ، وبالكرازَةِ المَمسُوحَةِ بالرُّوح من قِبَلِ الوُعَّاظِ العِظام. هذا تطبيقٌ جَيِّدٌ لما ينصَحُ بهِ بُولُس هُنا. ولكن ليسَت هذه هي الطَّريقَة الوحيدة التي يُطَبَّقُ بها هذا التَّعليمُ.

القَضِيَّةُ مَوضُوعُ البَحثِ هُنا هي أنَّهُ لدينا حَدٌّ رُوحيٌّ، ووقتٌ مُحَدَّدٌ نستَسلِمُ فيهِ بِدُونِ شُرُوطٍ لرَبِّنا يسُوع المسيح. علينا أن نؤمِنَ بيسُوع مُخَلِّصاً لنا، وأن نُتَوِّجَهُ رَبَّاً على حياتِنا، وأن نَكُونَ مُستَعِدِّينَ للمَوتِ عن ذواتِنا وأن نحيا لهُ "كذبائِحَ حَيَّة."

وهُوَ يَذكُرُ بِشكلٍ خاصٍّ أجسادَنا، ويُشيرُ إلى تسليمِنا لأجسادِنا لله ذبيحَةً حَيَّة. في نظامِ العهدِ القديم بتقديمِ الذَّبائح الحيوانِيَّة، كانت الذَّبائِحُ تُقدَّمُ دائماً مَيِّتَةً بعدَ ذبحِها لتقديمِها لله. يتحدَّى مَفهُومُ الذَّبيحَةِ الحَيَّة قُرَّاءَ بُولُس بأن لا يرغَبُوا بأن يمُوتُوا من أجلِ المسيحِ واللهِ فحَسب، بل وأن يعيشُوا للمسيحِ ولله دائماً. هذه الذَّبيحَة الحيَّة مَوصُوفَةٌ بأنَّها معقُولَة، أو بأنَّها عبادة عقليَّة. يُخبِرُنا بُولُس أيضاً أنَّ هذا التَّسليم الكامِل وغير المَشرُوط هُوَ مقبُولٌ ومَرضِيٌّ عندَ الله. والمقصودُ هُوَ أن لا شَيءَ أقلَّ من ذلكَ مقبُولٌ أمامَ الله.

هذه الدَّعوة للإلتِزامِ الكامِل عمليَّةٌ للغايَة. تطبيقاتُ بُولُس المُوحَى بها، تتحدَّانا دائماً بأن نجعَلَ ما نَقُولُهُ ينسجِمُ دائماً معَ واقِعِ حياتِنا. هذا يتحدَّانا أن نضعَ أجسادَنا حيثُ تُوجَدُ أفواهُنا أو أقوالُنا. وهُناكَ بِضعُ تعليماتٍ عمليَّةٍ لنتَّبِعَها. علينا أن نُحَدِّدَ أنَّنا لن نُشاكِلَ قِيَمَ وأخلاقِيَّات هذا العالم الذي نعيشُ فيهِ. تقُولُ إحدَى التَّرجماتُ، "علينا أن لا ندعَ العالَمَ يُقحِمَنا لنتشكَّلَ بقالَبِهِ." (J. B. Phillips)

بالإضافَةِ إلى هذه التَّعليمات السَّلبِيَّة، يَتِمُّ حضُّنا على أن "نتغَيَّر." لا يَتِمُّ تشجيعُنا هُنا لكَي نُغَيِّرَ أنفُسَنا. فَكَلِمَةُ اللهِ لا تُعَلِّمُنا أن نَقُومَ بالتَّغييراتِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

التي يقتَرِحُها بُولُس هُنا. بالحقيقة، سَخِرَ النَّبِيُّ إرميا من شعبِ اللهِ الذين كانُوا يُحاوِلُونَ تغييرَ أنفُسِهم. "لماذا تَركُضِينَ لِتُبدِلِي طَريقَكِ؟ هل يُغَيِّرُ الكُوشِيُّ طريقَهُ أوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ. فأنتُم أيضاً تَقدِرُونَ أن تصنَعُوا خَيراً أيُّها المُتَعَلِّمُونَ الشَّرّ؟" (إرميا ٢: ٣٦؛ ١٣: ٢٣)

الأنبياءُ والرُّسُلُ يُعَلِّمُونَ ويَحُضُّونَ شَعبَ اللهِ لِيُلَبُّوا بعضَ الشُّرُوط، الأمرُ الذي يُمَكِّنُ اللهَ بأن يُغَيِّرَهُم. ولقد علَّمَ يسُوعُ مُعَلِّمَ النَّامُوس نيقُوديمُوس أنَّهُ ينبَغي أن نُولَدَ من فَوق. (يُوحَنَّا ٣: ٣- ٥). ليسَ بإمكانِنا أن نَلِدَ أنفُسَنا. فالولادَةُ الرُّوحِيَّةُ، مثل الولادة الجسديَّة، هي إختِبارٌ سَلبِيٌّ بالنِّسبَةِ للَّذينَ يُولَدُون. فالولادَةُ هي شَيءٌ يحدُثُ لهُم. نقرَأُ أنَّنا نُولَدُ "منَ اللهِ" وأنَّ هذا الإختِبار هُوَ عملُ الله (يُوحَنَّا ١: ١٢، ١٣؛ ٢كُورنثُوس ٥: ١٧ و١٨؛ ٣: ١٨). لا نستطيعُ أن نُحدِثَ تَغييراً في حياتِنا كذلكَ التَّغيير الذي يُشبِهُ التجديد.

إذ نختُمُ هذا الكُتَيِّب الثَّالِث عن رسالَةِ بُولُس الرَّسُول هذه إلى أهلِ رُومية، دَعني أطرَحُ عليكَ الأسئِلَةَ التَّالِيَة: "هل لَدَيكَ إستِحقاقات رُوحيَّة؟ وهل إعتَرَفتَ بيسُوع رَبّاً على حياتِكَ؟ هل آمنتَ بأن يسُوع المسيح هُوَ مُخَلِّصُكَ، وهل قدَّمتَ لهُ إستسلامَكَ غير المَشرُوط، وهل طَلَبتَ منهُ، "يا رَبّ، ماذا تُريدُ منِّي أن أفعَلَ؟" بإمكانِكَ أن تفعَلَ هذا في منزِلِكَ الخاصّ، أو بالحقيقَةِ في أيِّ مكانٍ آخر.

إذا إتَّخَذتَ إلتِزامَ الإيمانِ هذا، إتَّصِلْ بنا فنُرسِلَ لكَ مطبُوعاتِنا التي ستُساعِدُكَ. إن كُنتَ قدِ إتَّخَذتَ هذاالإلتِزام، دعني أسأَلُكَ، "هل أنتَ ذَبيحَة حَيَّة؟" وهل أنتَ شَريكٌ معَ اللهِ في مُشارَكَةِ الإنجيل معَ آخرين، لكَي يتحرَّرُوا هُم أيضاً رُوحيّاً من عُبُودِيَّةِ الخَطِيَّة، وليختَبِرُوا نِعمَتَهُ الرَّائِعة؟" إن لم تَكُنْ قد فعَلتَ هذا بعدَ، فلماذا لا؟"

تأكَّدْ من أن تحصلَ على الكُتَيِّب التَّالِي، الذي سيختُمُ دراسَتنا لرسالَةِ رُومية، عدداً بعدَ الآخر، من رسالَةِ بُولُس الرَّسُول هذه إلى أهلِ رُومية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008 - 2014 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل